

الغريب أهـ وسائل تفرنا العلي

الدكتور عبد الغني ماجد السروي

تفضل الاخ الدكتور فاتح «اللسان العربي» بهذه المحاضرة القيمة التي
لقاها في المؤتمر العربي السادس لطب الاسنان ببغداد ونحن نشرها شاكرين :

ولا يضيق منه الزر مختقنا
ولا يصحح ايضا عند سخطه
هذا العلاج ومن يعلم به سيرى
آثار خير ويكفي امر عنته

انها شكوى مريض ... ؟ وصفة طبيب لم تكتب
بالصيفة اليونانية ولا السريانية ولا الفارسية وانما
كتبت باللغة العربية .. وبلغة الاحساس المرهف بلغة
الشعر ... لقد كان ابن سينا على علم باللفسات
الامجية ولكنه لم يصف علاجه الا بالتماييز العربية
التي اتقن علمه بها وحبر كتبه فيها فترجمت الى معظم
لغات العالم وظلت زهاء ستة قرون المرجع العالمي في
الطب ، واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات
فرنسا وايطاليا وظلت تدرس في جامعات مونبلييه
حتى اواخر القرن التاسع عشر ... !

وانه لمن دواهي البشر ان استوحى من كلمات
طبيبنا العظيم القوة على معالجة موضوع نحن في
امس الحاجة اليه اذ تعريب مصطلحاتنا الطبية وان
شئت فقل نقل علومنا الطبية . وقد كان لسى شرف
المثول على هذا المنبر في مؤتمرين اثنين الاول في
بيروت والثاني في عمان وقد اتخذت فيهما التوصيات

شكا الوزير ابو طالب العلوي آثار بشر في جبهته
الى الحكيم ابن سينا ونظم شكواه شعرا وانفذه اليه :

سنيعة الشيخ مولانا وصاحبه
وفرس انعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه ادام الله مدته
آثار بشر تبتى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مفتنما
شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس من ابياته ووصف في
جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته
من الادي ويعافيه برحمته
اما العلاج فاسهال يقدمه
ختمت آخر ابياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من
دم القدال ويفني عن حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد ممتصرا
فيه الخلاف مدانا وقت هجمته

نعتمد في رأينا واقوالنا وسلوكنا على ما رأينا وسمعنا في النالها وتناسى ما لنا من تقاليد وعادات .. ولعل لهؤلاء البعض عذرهم ان تنكروا لدوائهم ... بيد انه لا عذر لهم ابدا ان هم وازنوا بين مستوى الامة التي درسوا عنها او فيها ... وبين مستوى بلادهم لان عليهم رسالة يجب ان يؤدوها الى اهليهم والى وطنهم والى شعبيهم ، واهم ما في هذه الرسالة هو نقل العلوم التي اختلفوا بها الى لسانهم الاصلي لبنوا مع البنائين لبنات حضارتنا العربية وستكون باذن الله منارا للانسانية ورحمة للعالمين ...

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل يترك راسه حيث تصلم وقدومه حيث يمشي ... وانه لمن القريب حقا ان يتنكر احد لثقته وينسفر عن تاريخه ومقدساته ويترك الياس يدب الى قلبه يوهن من عزالته يتألف ويتفجر ولا يضع الحلول البناء التي تخرجنا مما نحن فيه والله در شوقني حين قال :

مثل القوم نسوا تاريخهم
كلقيط عبي في الناس انتسابا
او كغلوب ملى ذاكرة
بشنتكي من صلة الماضي انقسابا

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل دراستهم بلفة اجنبية ان يعاوسوا الترجمة والتعريب وان ينموا احساسهم بتدقيق مصطلحات لغتهم العربية ليكون مجيودهم مشمرا مفيدا عظيما واتي امتقد ان من واجبه ان يترجموا كما ان من واجب الدولة ان تنتقي منهم المترجمين المبرزين لتدفع رواتب سخية كما كان ايام الملمون فيحكى عنه انه كان يدفع رواتب خيالية لكبار المترجمين ، اذ يقال ان راتب كل من حنين بن اسحق وحبيش الاسم وثابت بن قره بلغ خمسمائة دينار في الشهر ، وهو مبلغ لا تكاد نتصوره لمترجم حتى يومنا هذا . ويقول ايضا انه كان يوزع في كل اسبوع يوم الثلاثاء جوائز عن الاعمال العلمية والادبية الممتازة . واصبحت الكتابة والاشتغال بالعلوم والآداب من اعظم المهن حتى لقد ذاع المثل القائل : الكتابة اشرف المهن بعد الخلافة .

لقد سمعتم حتى الان محاضرات عديدة باللغة العربية ، فهل شعرتم بغرابة او استهجنتم احداها ام انكم وجدتم فيها لذة ومتمعة ووقعا محببا الى نفوسكم .

والقرارات التي تناسب ما نحن بصدد بحثه آنذاك على ان نلتزم به الحكومات العربية وتنسق الممثل المؤدي اليه والى حسن تنفيذه .

ودارت الايام واقف اليوم للمرة الثالثة لا لاردد ما قلته في المرة الاولى على لسان المتنبى :

ولكن الفتى الصربي فيها
فريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

ولكن لاقول كلمتي في هذا الشأن يحفزني الى القائها عروبة جبلت بدمي وايمان بان الفرصة مؤاتية ليكون لاطباء الانسان العرب اول منطلق لهم نحو تأمين نقل علومهم بالجهد والصبر والتنظيم فنحدو بذلك حدو الاقوام التي تحترم نفسها وتحافظ على لغتها وكرامتها .

واحمد الله ان سهل لنا هذا اللقاء الاخوي فالف بين قلوبنا وقابل بيننا لتبادل الرأي وتداول البحث والمشورة ، فنندني ابنا علم الانسانية ليكون عوننا لنا على خدمة شعبنا من هنت المرض وعودة الداء .

ولكني اساءل كيف يمكن ان ندني علم الانسانية ايننا ؟

وكيف يمكن ان ناخذ وننقله ونفعل معه ونبتكر فيه ؟

ان الامر ميسور لتحقيق ما نساله فقد افاء الله على امتنا العربية بكثير من العلماء الانداز الذين اتقنوا علمهم في وطنهم واخصوا بجزء منه في البلاد الاجنبية وقدمت لهم المسامدات المستطاعة ليقتفوا الثمار الضرورية لهضة علمنا العربي وليكونوا اهلا للبحث والارشاد .

وعلى الرغم مما يظهره بعضهم من كبرياء وصلف على ثقافات غيره ، وادعائه بان يكتفي بالنهل الذي نهل منه ، على الرغم من كل ذلك فهناك نثة واهية لمتطلبات وطنها وحاجاته ، تود ان لا تتأثر شخصيتنا الى الحد الذي يفقدها اصلتها لدرس بضع سنين في بقعة من هذا العالم لا يجيز لنا ان

الا تتمنون معي أن تكون لكم القدرة على الاداء
بهذه اللغة الحبيبة ؟ قولوا بربكم ألم تمازج نفوسكم
وتهفوا اليه افئدتكم ؟

انا وايم الحق يجب ان نعرف واقع لغتنا
الذي هو استمرار لواقع لغوي سبقه مع وجود
اختلاف هين بين كلا الواقعيين ، شان الكائن الحي
المتطور يفيد من تقدم الزمن ، ومن صلته بالآخرين
والؤكد لكم ضرورة رعاية هذا الواقع اللغوي في الوطن
العربي وتناوله بالدراسة على ضوء ما سبقه مما ورد
موصوفا في المراجع لتكتمل بذلك حلقات اللغة
الفصحى ، ونحس نحن العرب اننا امة ينبغي ان تعتر
بماضيها اذا كانت تريد ان تعز في حاضرها وتؤمن
بان الفصحى التي حملها العرب الاولون ليفتحوا بها
اوطانا ويفزوا بها لغات ووطنات في الشرق والغرب
هي **الرابطة الوحيدة التي يمكن ان تجمع العرب في**
كل مكان ، وقد اورد المفكر الفرنسي الكبير الاستاذ
جاك بيريك في محاضرة له على مدرج جامعة دمشق
خلال شهر تشرين الثاني 1967 قوله « **ومن الثوابت**
ايضا اللغة واقول : ان التفسيرات الاقتصادية اذا
كانت تنكر اهمية اللغة ، فليس ذلك ممكنا لو احد مثلي
عاش مع الحضارة العربية ، ووجد ان اللغة العربية
تضمن منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اليوم البنى
ذاتها ، تلك البنى اللغوية التي هي في الوقت ذاته
بنى معنوية او خلقية واجتماعية فمن حق المجتمعات
العربية ان تكافح في سبيل **الحفاظ على لغتها الاصلية**
بصورة خاصة . وما يمكنها بهذه اللغة الانوع من
التعلق بما اُسِمه الثوابت التي تمكننا من اجراء بعض
التبدلات حسب ضرورات كل عصر » .

اسمحوا بدعوتكم لسماع نص صغير لوصف
تسريح الغزالة في كتاب حي بن يقظان لابن الطفيل
الاديب والطبيب الاندلسي اذ يقول :

(فصار لا يدنو اليه شيء منها سوى الظبية
التي كانت ارضته وربته ، فانها لم تفارقه ولا فارقتها،
الى ان اسنت وضعت ، فكان يرتاد بها المراعي
الخصبة ، ويجتني لها الثمرات الحلوة ويظمها .

وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى
الى ان ادركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة
وتعملت جميع اعمالها ...

فلما نظر الى جميع اعضاءها الظاهرة ولم ير
فيها آفة ظاهرة . وكان يرى مع ذلك العظلة قد شملتها
ولم يختص بها عضو دون عضو - وقع في خاطره ان
الآفة التي نزلت بها ، انما هي في عضو غائب عن
العيان ، مستكن في باطن الجسد ، وان العضو لا
يفني عنه في فعله شيء من هذه الاعضاء الظاهرة .
فلما نزلت به الآفة عمت المضرة وشملت العظلة ، وطمع
لو انه عثر على ذلك العضو وازال ما به ، لاستقامت
احواله وفاض على سائر البدن نفعه ، وعادت الافعال
الى ما كانت عليه ...

فعمز على شق صدرها وتفتيش ما فيه ، فاتخذ
من كسور الاحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة ،
اشباه السكاكين وشق بها بين اضلاعها حتى قطع
اللحم الذي بين الاضلاع . وافضى الى الحجاب
المستبطن للاوضاع فراه قويا ، فقوي ظنه بان مثل
ذلك الحجاب لا يكون الا لمثل ذلك العضو بانه اذا
تجاوزه لقي مطلوبه فحاول شقه ، فصعب عليه لعدم
الات لانها لم تكن الا من الحجارة والتصب
فاستجدها ثانية واستحدها وتلطف في خرق الحجاب
حتى انخرق له ، فالضى الى الرئة فظن اولاً انها
مطلوبه لما زال يقبلها ويطلب موضع الآفة بها ...

وجرد القلب فراه مصمتا من كل جهة فنظر هل
يرى فيه آفة ظاهرة ؟ فلم ير فيه شيئا فشد عليه يده
فتبين له ان فيه تجويفا ، فقال لعل المطلوب الاقصى
انما هو في داخل هذا العضو وانا حتى الان لم اصل
اليه فشق عليه فرأى فيه تجويفين اثنين : احدهما
من الجهة اليمنى والاخر في الجهة اليسرى والذي
في (الجهة) اليمنى مملوء بعلق منمقد والسدى في
(الجهة) اليسرى خال لا شيء فيه فقال :

لن يعدو مطلبني ان يكون مسكنه هديين
البيتين «

... اتها وربي الجزالة والفصاحة والعلم ، فما
احلى هذا الجرس والقوى هذا البيان واشرق هذه
المعاني ، فهل تترك هذه اللغة القوية لتلحق بالوطنات
الاجميمة . فتعالوا يا اخواني لترجع الى فصاحتنا
ففيها الخير العميم ؟ ...

نحن لم نعدم الرجال المخلصين والعلماء النابغين
من ذوي الالانة والهدف البعيد الذين قدموا الحلول
البناءة ليأخذ العلم العربي مجراه ويصبح مسأيرا

اجنبية واحدة على الاقل تساعده على متابعة العلم وتطوره . والعمل على تنسيق نظم التدريس بين مختلف البلاد العربية وتبادل المدرسين بين البلاد العربية حسب الامكانيات ويجاد اتحاد لكليات الطب في البلاد العربية يسمى الى تحقيق هذه التوصيات .

لا تتحقق هذه التوصيات بالنسبة لنا الا بتوحيد جهودنا على مستوى وطننا العربي الكبير وعلى الخصوص البلاد التي تملك كليات لطب الاسنان وذلك بانشاء مؤسسة علمية لطب الاسنان لانها ضرورة من ضرورات بحثنا العلمي الحديث لان عددا كبيرا من العلماء في شتى انحاء العالم ينشرون تبارا ضخما من المعلومات حول ابحاثهم . وهذه المعلومات ترسل عادة على شكل تقارير ونشرات واوراق ومقالات ومجلات ، وان تطور بحوثنا وتشجعها جعل الاطلاع على ما يجري من ابحاث البلدان الاخرى ضرورة لا بد منها ، هذه الضرورة بالذات تدفعنا الى وضع برنامج خاص بالترجمات العلمية ، حتى يتسنى للمترجمين ترجمة هذا السجل من الابحاث العلمية الواردة من الجامعات العلمية من الشرق والغرب على السواء . ولا اكون مخطئا اذا قلت انه لا يصلح علم آخر هذه الامة الا بما صلح به علم اولها فان دار الحكمة التي انشأها المأمون التي كانت مكتبة ومؤسسة للترجمة كانت اجمل هدية تنفق ومزاج الجمهور العربي في ذلك التاريخ . ونعلم ان دور الكتب العربية في ذلك الوقت نمت في كل مكان نمو العشب في الارض الطيبة ففي عام 891 م احصى مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد باكثر من مئة . وبدأت كل مدينة تبني لها دارا للكتب يستطيع اي انسان استعارة ما يشاء منها وان يجلس في قاعات المطالعة ليقرا ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصمت لهم يتجادلون ويتنافسون كما يحدث اليوم في ارقى الاندية العلمية .

فمكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر اربعين الف مجلد بينما لم تحو اديرة الغرب سوى اثني عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية ضياعها . وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، بل انه كان لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجعا للاطباء ، يقفون منه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث . فاین هي تلك المكتبات الحافلة بالكتب العربية ... الكتب التي لم تكن مطبوعة على آلة بل

لمهضة العلم العالمية فاقروا مبدا الترجمة والتعريب وترجموا حسب امكانياتكم الفردية مصطلحاتنا العلمية واستنكروا تلك الصيحات التي تمزق الى اللغة العربية نصوصها من احياء كلمات تنسجم مع هذه المصطلحات او توليد كلمات لها معان تليح حاجة تطور العلم الذي يطالبنا كل يوم باختراع جديد وكشف حديث .

ومن نافلة القول ان نتجاهل واقننا اللغوي الخالد واقع العربية الفصحى التي نصوص بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد وحياتنا الراقية ، العربية التي فرضت وجودها منذ وجدت واستوت على المثال الذي ندرسه وننطقه فمند فجر التاريخ هذه اللغة لم ينقطع حتى الان استعمالها من الالسن الناطقة بالضاد وساعد على استمرار هذا الوجود ذلك التراث الادبي العظيم وفي قمته القرآن الكريم ، تلك المعجزة البيانية الخالصة التي كفلت للفصحى دوامها وبقائها بدلا من تفرقها الى لغات شتى ، كما منحنا استقرارا في الصورتين اللغوية والتعبيرية على مدى القرون وليس من المقبول ان يقال بان حديثنا العربي لغة متكلفة مصنوعة بل هو عادة وسجية تناولتها يد التعليم والتربية بالتهذيب والتعديل فهي عملية لا بد منها لكل ناطق بلغة حية . فالانكليزي مثلا يتلقى من ابويه لغة الحديث الجارية ولكنه يهدب نطقه ويقوم لسانه في مراحل التعليم المختلفة ليستطيع دراسة آداب لغته ومواصلة البحث العلمي بها . . ولا يمكن القول بان الطريقة التي يلتحق بها الطفل في الريف الانكليزي هي الصورة المثالية لنطق الانكليزية التي يريدتها المجتمع الانكليزي لغته وللناطق بها ، وكذلك اللغة الروسية والفرنسية والالمانية وغيرها . ولا يمكن القول بان اللغة المدرسة في معاهد التعليم هنالك مصنوعة متكلفة لمجرد اختلاف ما بينها وبين سابقتها .

لا احب ان يفهم من قولي انني امج تعلم اللغات الاجنبية ولكني احب ان اقرر ان الضرورة ملحة لاقتان اللغات على اختلافها وان تكرر كلها لانصاء مداركنا وابحاثنا العلمية التي شحت مياها وهي بحاجة الى روافد .

طالمت في الصحف من زمن قريب توصيات اللجنة الصحية الدائمة لجامعة الدول العربية فكان من جملة هذه التوصيات ان تهيء الدول العربية جميع الاجراءات الكفيلة بجعل اللغة العربية لغة التعليم الطبي وفسح المجال لطالب الطب لاقتان لغة

يحشد فيه أكبر عدد من العلماء المختصين بالترجمة ولا بد من إيجاد جماعات تتكلم لغات أجنبية متعددة فنستطيع أن نترجم عددا كبيرا من الوثائق والأبحاث الأجنبية . وأن يكون هؤلاء المترجمون في مستوى علمي لا يقل عن مثيلهم في البلاد الأخرى .

ولما كان من الصعب أن يوجد عالم وأديب في آن واحد ، ومن الصعب أيضا أن يوجد مترجم مارس البحث العلمي في لغتين مختلفتين في آن واحد لهذا السبب فإن مخطوطة الترجمة بعد أن ينتهي منها المترجم يجب أن تحول إلى قسم التحرير لينظر فيها قبل أن تدفع إلى المطبعة فتعمر على قسم التحرير العلمي حيث يعاد النظر بالتعابير العلمية التي تتطلب الدقة وقد يستدعي المترجم للدلالة ببعض الأيضاحات والاتفاق معه على المصطلحات عندها تحول المخطوطة إلى القسم الأدبي حيث تجري التصحيحات بالاتفاق بين كل من المحرر الأدبي والعلمي .

ولكي نقضي على الفوضى في وضع المصطلحات العلمية والطبية أو التخصص من أوصافها وأوصافها يجب حصر جميع المصطلحات التي وضعت وانتخاب الإصالح منها وأن تؤلف لجنة من البلغاء يجرون هذا الانتخاب وأن تكون المعاجم الموجودة حاليا هي المنطلق الأول في ذلك كالمعجم الكثير اللغات من الأفرنسية إلى العربية ومعجم يوسف حتى من الإنكليزية إلى العربية أو اعتماد قاموس الاتحاد الدولي لطب الأسنان (Dental Lexicon) وغيرها .

ولا بد كذلك أن تقف على كثير من الأبواب التي طرقها كتابنا وأدباؤنا الأولون لناخذ من تعابيرهم ما يخدم مجريات علمنا الحديث ويعزز لغتنا ويقويها . فاسمحوا لي أن أسمعكم شيئا مما ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قال :

« قال صحت التجربة وقامت المبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة من الحروف، منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الأخر .

وقد رأينا تصديق ذلك في الفواه قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع .

نسخت باليد وبدل فيها كاتبوها مجهودا مضنيا دام شهورا طويلة وأحيانا يفتح سنوات ، ولم تكن تلك الكتب رخيصة الثمن فقد تقاضى ابن الهيثم مثلا 75 درهما أجرا لنسخ مجلد من مجلدات إقليدس ، وهو مبلغ لا يستهان به عاش منه ابن الهيثم ستة أشهر . ولقد ترك ابن الجزار الطبيب والرحالة القيرواني عند وفاته 250 طنا من لفائف رق الغزال التي كتبها بنفسه .

هكذا كانت مؤسسات الترجمة والتعريب عند أجدادنا فهل أعددنا مثلها ؟

وهل في مكنة أمة ناهضة ترغب في مساهرة العصر أن تتخلف عن إدراج علم العالم إلى لغتها ليكون العلم في متناول كل شغوف بالمطالعة والبحث . وجل ما يميزنا في الوقت الحاضر عن أجدادنا أنهم وجدوا علما سابقا فاقبلوا على نقله ثم زادوا عليه وأذابوه في بوتقة علمهم وعبقريتهم ورفدوا الإنسانية بابتكاراتهم وابعائهم .. أما نحن فنجد علوما تسيرو معنا وتسبقنا فلذا كان من الضروري الإطلاع عليها وعلى كل ما يصدر منها لنا بعدد جولات في مسيرة الحضارة الحديثة .

ومما يلاحظ في زمننا الحاضر أن الاختصاص أخذ يلعب دورا هاما في تطور الأمم ، وعلى الأمم التي ترغب بالبقاء والاستمرار أن تتجه كليا نحو التخصص العلمي في شتى ميادينه والإنسان المختص في عالم اليوم هو الرجل الذي يعرف كثيرا وعليه أن يقرأ الكثير مما يكتب حول حقل معين من ميدان اختصاصه والا فلا يمكن إطلاق اسم (الاختصاص) على علمه وبعثه .

ولكن هناك صعوبة تواجه الاختصاص في شتى البلدان وهي أن الأبحاث العلمية التي تنشر تكون عادة مكتوبة بلغات مختلفة متعددة ولا يمكن لعالم مهما كان عظيما أن يتجاهل أبحاث ومكتشفات العلماء الآخرين ...

وكذلك لا بد أن يعمل برنامج للترجمة والتعريب على نقل شتى الأبحاث العلمية الجارية إلى اللغة العربية ووضعها تحت تصرف العلماء الباحثين في شتى المخابر والمراكز والمعاهد والجامعات العربية . ولا بد أن يكون لهذا البرنامج استقلال ذاتي

كمنع نسما ونسوما : انحسرت اللثة واسترخت ،
كنسعت ونثيتاه خرجتا من العمر والمرأة نسما ونسوما
طال ظهرها او سنها او بطنها . وهذا المعنى قريب من
المعنى المطلوب .

ولناخذ مثلا آخر لما ورد ذكره على لسان
العرب :

فلو ربت الاسنان كما نطق بها العرب لاصبح
هذا الترتيب على النحو التالي :

**الثنية والريامية والنايب والفاحك والمارهي
والطاحن والرحسى والناجد وهذه الاسماء خيرة من
الاسماء المركبة .**

ولو اخذت كلمة القصم لامكن استعمالها في
انكسار السن عرضا . فيقال : رجل اقصم الثنية
وامرأة قصماء من قوم قصم .

وكذلك كلمة الانقياصي لامكن استعمالها
لانشقاق السن طولاً فيستقط نصفها او بمضغها .
وكلمة القضم فيقال قضمت اسنانه تقضم قضمًا ،
وذلك اذا انكسرت اطراف اسنانه وتفلتت .

وكلمة العجور : وهو صفة تركب الاسنان ، فاذا
كثرت وغلظت لم اسودت او اخضرت فهو القلح
وامرأة قلحاء وقوم قلح .

وهناك كلمات لا حصر لها يمكن الاستفادة منها
او احياؤها، وليس لدي وقت كي استرسل في سردها
وبيان جمالها وتوافقها وانى اختم كلامي بابيات لابن
سينا حكيمنا العظيم بقول فيها :

هدب النفس بالعلوم لتترقى
وذو الكل نهى للكل بيت
اتما النفس كالرجاجة والمعلم
سراج وكلمة الله زيت
فاذا اشرفت فانك حيي
واذا اظلمت فانك ميت

والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان عبد الله بن ابي لسان ظريفا يصرف
لسانه كيف شاء ، وكان الالاحاح على القيه قد يبرد
اسنانه ، حتى لا يرى احد منها شيئا الا ان تطلع في
لحم اللثة او في اصول منابت الاسنان .

وكان سفيان ابن ابريد الكلبي كثيرا ما يجمع
بين الحار والبار فتساقطت اسنانه جمع ، وكان في
ذلك كله خطيبا بينا .

وقال اهل التجربة ، اذا كان في اللحم الذي
فيه مغازز الاسنان تشمير وقصر سمك (التشمير :
التقليص ، والسمك بالفتح الارتفاع) ذهبت الحروف
وفسد البيان .

كما يجب ان تقوم لجنة ثائية بحصر المصطلحات
العربية المشوثة في معاجم اللغة العربية وارى ان يكون
الانطلاق من كتاب المخصص لابن سيده وكتاب خلق
الانسان لابن ثابت وما يشبههما .

ولا بد ان تاخذ هذه اللجان بعين الاعتبار اصول
التعريب من حيث التعريب اللفظي او المعنوي او
توليد معان جديدة او نحت كلمات جديدة . ولا يجوز
ان ننحت كلمة الا اذا اميتنا وسائل اللغة عن ايجادها
في بطون القواميس وعلى سبيل المثال فقد ترجمت
كلمة (La Pyorrhée) او (Parodontium)
او (Periodonitum) بكلمة (الرهال) وامتد في ذلك
على نحت كلمة (رعل) التي ترمز حروفها الرء الى
الرباط والعين الى العظم واللام الى اللثة .

فلو فتحت القاموس - وليكن قاموس المحيط
للفيروز آيادي - لوقفت في هذه الكلمة على تفسير
طويل لها من معانيها : مثلا رعله كمنعه طعمه طعنا
شديدا ، والرعل انف الجبل ومن الرجل ثيابه ويقال
لما تهدل من الثياب رعل وكذا ما انثنى من المشب
وطال الخ ...

اذن هناك معنى لهذه الكلمة ولا يجوز ان ننحت
كلمة لها اصل في اللغة .

اما لو امتدنا كلمة النساع : الليناها مشتقة
من نسع كمنب او نساع ونسوع ونسعت الاسنان

العرب والحضارة الإنسانية

الدكتور محمد معروف الروالبي

د - بل جزم علماء الآثار أخيراً اعتماداً على دراساتهم العلمية في السنوات الأخيرة في البلاد العربية ، وذهبوا إلى أبعد من ذلك وقالوا : استطاعت الأبحاث الأثرية أن تمد خمس موجات منها ، وأن تؤكد أن ، آخرها وأقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل أربعة عشر قرناً ، وأنه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية الخمس هجرات عربية قديمة أخرى قبل التاريخ : امتدت على الفريجية الشمالية والبلقان وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا وإيرلندا وبلاد الشمال (2) ، بل ذهبت مجلة « اللسان العربي » في العدد الثالث منها الصادر في شهر آب من سنة 1965 ، وفي الصفحة 130 إلى ما يدل على أن القرطاجيين الكنعانيين - البونيين - قد وصلوا إلى البرازيل في خط هجرتهم القديمة في مطالع التاريخ ، وهذا ما قد أثبتته البحوث العلمية الحديثة : من وصول العرب إلى أمريكا في مطالع العهد التاريخية (3) .

والمشكلة التي أمتزجت هذا الجزم هي :

أ - إذا كانت الحضارة الإنسانية الأم إنما انطلقت من جزيرة العرب .

لقد استقر الرأي العلمي اليوم عند مؤرخي الحضارات القديمة على أن الحضارة الإنسانية الأم التي نشأت فيما قبل التاريخ إنما هي حضارة « مثلث الحضارة القديمة » كما سماه جورج شفاينفورت Georges Schweinfurth ويعني به اليمن وحضرموت على رأس المثلث ، ووادي النيل في مصر في أحد ساقيه ، وأراضي الرافدين في العراق في الساق الثاني ، وما بين هذين الساقين في بلاد الشام (1) في قاعدة المثلث .

كما استقر الرأي العلمي على أن هذه الشعوب كلها :

أ - ترجع إلى أصول عربية لا شك فيها .

ب - وأنها نزلت تحت ضغط عوارض الطبيعة في جنوبي الجزيرة العربية عندما اشتد جفافها وضاعت عن أهلها .

ج - وأن هذه الشعوب خرجت إلى مناطق هجرتها متحضرة ومالكة لناصية الحضارة ، ولذلك تشابهت حضاراتها في أصولها .

(1) كلمة « الشام » تعني بلاد الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وهي تشمل اليوم ما هو معروف بفلسطين والأردن وسوريا ولبنان .

(2) « مجلة الحوليات الأثرية السورية » ، المجلد السابع سنة 1957 ، الصفحة 4 ، الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار ؛ وكتاب « الأيتروسك في فرنسا وفي أصولنا الفرنسية » لمؤلفه الفرنسي « هيلبردو بارانتون » « Les Etrusques en notre Occident et nos origines françaises » .

طبع باريس سنة 1946 ، المكتبة الشرقية والأمريكية لصاحبها « ميرون نوف G. P. Maisonneuve » الصفحة 1 ، وكتابنا « قلعة طروادة التاريخية » طبع بيروت سنة 1964 ، مكتبة لبنان ، الصفحات 54 ، 56 ، 61 ، 71 .

(3) انظر كتابنا « المدخل إلى التاريخ العام للقانون » الطبعة الثانية ، طبع دار الفكر بدمشق سنة 1963 ، الصفحة 541 .

وكان للبحثة « كيتاني » Ceatani .
الفضل في لفت انظار العلماء الى هذه الظاهرة الهامة :
ظاهرة التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب ، والجفاف
الذي حل بها في اواخر الدورة الجليدية الرابعة
الاخيرة .

ففي الوقت الذي كانت فيه معظم النواحي
الاوربية وشمالى آسية تغطي الثلوج ارضها ، كانت
جزيرة العرب ذات جو معتدل ، وامطار غزيرة ،
واشجار وزروع . . ثم اخذ الجو يتغير في بلاد العرب ،
ففقد الجو رطوبته ، وسارت البلاد فيها بصورة
مستمرة وبطيئة نحو الجفاف منذ اكثر من اربعمئة
عشر الف سنة ، فالر ذلك بالطبع في حياة سكانها
وفي حياة حيواناتها ونباتاتها : فانقرض ما لم يتمكن من
تكيف نفسه مع المحيط الجديد ، وظهرت الحاجة
الى الهجرات ، فكانت الهجرات التي نتحدث عنها الآن ،
وخاصة بعد ان جفت انهار الجزيرة وتركت لنا آثارها
وهي الاودية ، وقد كان بعضها انهارا عظيمة في وقت
من الاوقات (3) .

وقد تصور « كيتاني » بلاد العرب في
الدورة الجليدية الاخيرة جنة بقيت محافظة على
بهجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا في رسم
تلك الصورة البديعة في مخيلة كتاب التوراه عن « جنة
عدن » ، وان جنة عدن المذكورة في العهد القديم هي
هذه الجنة التي كانت في نظر « كيتاني » في داخل بلاد
العرب (4) ، والتي يقول عنها في الجملة : انها بلاد كانت
كثيرة الامطار ، وكثيرة الانهار ، وكثيرة الاشجار .

ويؤيد هذه البحوث العلمية ان كلمة
« العرب » وجميع مادتها ومشتقاتها انما تدل :

— على المياه الكثيرة ، الصافية ، الشديدة
الجريان .

— او على الانس وعلى الصفاء الملازمين للمياه
الكثيرة الصافية .

وهكذا فاننا نورد فيما يلي موجزا عن
هذه المعاني في معاجم اللغة العربية :

ب - واذا كانت كلمة « العرب » ومادتها كما
جاءت في اللغة العبرانية السامية انما تدل فقط على
الصحراء والجفاف والبدو (1) .

ج - واذا كانت الحضارة لا يمكن ان تنشأ في
صحراء جافة ، فكيف والحال كما ذكرنا يمكن الجزم
بنشوء الحضارة الانسانية الام في جزيرة العرب
الصحراوية الجافة ؟ ، فان هذا مما يتنافى مع شروط
الحضارة .

وللجواب على ذلك لابد من الاشارة الى البحوث
العلمية الحديثة الجازمة التالية :

اولا - نظرية البحاثة « كيتاني » حول انواع
جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وانها كانت اجواء
مطرة ، وان ارضها كانت ممثلة بالانهار .

ثانيا - معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة
العربية الفصحى المؤيدة لذلك .

ثالثا - بطلان مزاعم العبرانيين فيما سجلوه
في كتب لغتهم من معنى لكلمة « العرب » ومادتها : من
انها تعني الصحراء والجفاف والبدو .

رابعا - نصوص من التاريخ القديم الدالة
على رطوبة الجزيرة العربية فيما قبل التاريخ .

خامسا - نصوص القرآن الكريم عن انواء
الجزيرة المطرة في عهد العرب البائدة ، وكثرة الانهار
في اراضيها .

سادسا - واخيرا نصوص الحديث النبوي
في ذلك ايضا .

نظرية البحاثة كيتاني Ceatani

لقد دلت البحوث والدراسات الحديثة
التي قام بها السياح والطماء عن بلاد العرب على ان
تغيرا كبيرا قد طرأ على جوها ، وان هذا الجفاف الذي
يكتنف هذه البلاد في ازماننا لم يكن على النحو الذي
نعرفه في العصور التي سبقت الاسلام كثيرا (2) .

- 1 تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول طبع بغداد سنة 1951 ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ
العرب مطول ، ليليب حتى ، الجزء الاول ، طبع بيروت سنة 1958 ، الصفحة 53 .
- 2 تاريخ العرب لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحة 97 ، طبع بغداد سنة 1951 .
- 3 تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحات 158 - 159 .
- 4 نفس المرجع السابق ، الصفحة 159 .

بطلان مزاعم العبرانيين

لقد زعم المستشرقون اليهود بأن معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة العبرانية إنما يعني في الأصل « الجفاف والصحراء والبدو » (2) ، وأن كلمة « عرب » مأخوذة من مادة « عرب » بمعنى « أمحل أو أجذب » في كثير من اللغات السامية ، وأن صيغة « عرابة أو عربية » العبرانية استعملت اسماً للأرض القسراء (3) .

ولنا على ما وصل إليه المستشرقون في مصادرهم اليهودية المزعومة ملاحظات أساسية أهمها ما يلي :

أولاً - أهمل هؤلاء الباحثين لما جاء في أهم اللغات السامية اليوم وهي اللغة العربية والتي يحمل أصحابها وحدهم اسم « العرب » ، وهو أهمل غير مفتقر ولا يدل على حسن قصد ، خاصة وأن معنى المادة في اللغة العربية جاء مخالفاً تمام المخالفة لما جاء في اللغة العبرانية ، وأن موضوع المخالفة متعلق ببلاد اللغة العربية ، ولا يجوز الحكم على معاني كلماتها الأساسية بمعان مستوردة من لغة غير عربية .

ثانياً - أن هذا الخلاف الكبير المتناقض فيما بين اللغتين العبرانية والعربية في معنى كلمة « عرب » يوجب على الأقل لفت النظر إليه ، وإيجاب الأخذ بالمعنى الثابت عند أهل اللغة العربية لا عند أصحاب اللغة غير العربية ، ثم متابعة البحث لمعرفة السبب في هذا التباين المتناقض ، ما دامت اللغتان ساميتين ، والكلمة كلمة أساسية في اللغة العربية وفي تاريخها وتاريخ بلادها ، وهذا ما لم يفعلوه بكل أسف !

ثالثاً - أهملهم الإخبار التي وردت في كتب اليونان والرومان وغيرها من النصوص القديمة ، وكذلك ما نقل عن المصريين القدماء (4) ، وكلها كانت تقول بوجود أنهار طويلة في بلاد العرب ، وبوجود أخشاب ضخمة فيها ، ويأنها « أرض الله » كما سماها المصريون لوفرة خيراتها ونتاج أشجارها من البهار والتوابل ، رغم أن كتب الإخبار القديمة في ذلك متوفرة

« العربية » النهر الشديد الجري ، وجمعهما « عربات » . وما كان المكان ليصلح منزلاً للقوم إلا إذا كان فيه ماء ، ولذلك كثرت الامكنة التي حملت في جزيرة العرب اسم « عربية » مثل باحة اسماعيل في مكة ، فقد سميت « عربية » لوجود ماء زمزم فيها ، وهكذا لم تلبث صيغة الجمع لكلمة « عربية » أي عربات أن أصبحت علماً في اللغات العربية القديمة على مهد العرب في جزيرتهم لكثرة المياه والأنهار فيها ، وإلى هذا الاسم نسبوا وسموا عرباً باسم بلدهم « العربات » ولا لمعنى « البداوة والجفاف والصحراء » كما نقل عن العبرانيين (1) .

— و « العربات » سفن رواكد كانت على مياه دجلة .

— و « العرب » الماء الكثير الصافي .

— و « والأهراب » الذين يرتادون الكلا ويتبعون مساقط الغيث ومطآن المياه ، لا مناطق الجفاف والصحراء .

— و « التعريب » الإكثار من شرب الماء الصافي

— و « عرب البئر » كثر ماؤها .

— و « امرئ بحجته » إذا افصح بها حتى عبرت عما يريد ، وكأنها أصبحت كالماء الصافي الذي لا يخفي ما فيه .

— و « امرأة عرب » أي متحبة إلى زوجها ، وذلك لصفاء مزاجها كما هو شأن الماء الصافي .

— و « عربت المعدة » أي فسدت وسالت كالماء

وأن معاني هذه المفردات تدل بإجمعهما على أن لكلمة « العرب » ومشتقاتها ومسمياتها صلة بالماء الكثير الصافي ، وليس من المقبول أن يطلق العرب على هذه المعاني كلها كلمة لا تدل مادتها في اللغات السامية إلا على الجفاف والصحراء كما زعم العبرانيون !!

(1) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقر 172 - 174 .

(2) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الأول ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ العرب مطبول ، لفيليب حتي ، الجزء الأول ، الصفحة 53 ، طبع بيروت سنة 1958 .

(3) تاريخ العرب السابق ، الجزء الأول ، الصفحات ، الجزء الثاني الصفحة 189 ، طبع بغداد سنة 1956

(4) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الأو ، الصفحات 98 ، 102 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الثاني السابق ، الصفحة 189 .

للباحثين كما سوف نعرضه بايجاز في البحث الخاص بها بعد هذا البحث .

وابعا - هدم استعراض نصوص العهد القديم « التوراة » فيما يتعلق بالدلالة على مفهوم كلمة «عربة» فيها وهي كثيرة . وكلها تنادي نداء صريحا بان كلمة «عربة» ومادتها انما تدل حصرا على «الأرض الجيدة ذات الامطار والعيون والانهار» ، وانها تفيض لبنا وعسلا ، في أرض الكنعانيين الساكنين في أرض العربة (1) . وقد استخرجتها كلها من اسفار العهد القديم فبلغت العشرات (2) ، وهذا ما يبطل ما جاء في كتب اللغة العبرانية من ان كلمة «عربة» انما تدل على « الصحراء والجفاف والبدو والجذب والارض القفراء !! » اذ كيف يجوز للتوراة ان تصف مساكن الكنعانيين في « العربة » بالارض الجيدة ذات الامطار والانهار والعيون واللبن والعسل اذا كانت كلمة «عربة» في العبرانية لا تدل الا على الصحراء والجفاف والجذب !! . اللهم ان هذا ليهتان عظيم !! وقد ابى الله الا ان يفضحه وان يظهر بان معنى الكلمة في اللغة العبرية هو نفسه في اللغة العربية .

نصوص التاريخ القديم

واذا ثبت لدينا فيما تقدم من نظرية « كيتاني » العلمية ، ومن نصوص التوراة في « العهد القديم » ان معنى كلمة « عرب » ومادتها انما تدل على الماء الصافي الكثير ، والارض الجيدة الكثيرة الامطار والانهار ، وذلك تماما مثل ما جاء في معنى هذه المادة في اللغة العربية ، وعلى خلاف ما جاء في اللغة العبرانية المجردة من اي دليل علمي ، فلنستمع الآن الى نصوص التاريخ القديم من عهد الفراعنة واليونان والرومان ، وكلها تدل على بقايا رطوبة الجزيرة العربية حينئذ مما هو معروف قبل التاريخ ، على الرغم من اشتداد حلقات زحف الجفاف على الجزيرة الذي كان قد بدأ قبل ذلك بالآلاف السنين ، ثم ما زالت حلقات تشتد يوما بعد يوم .

فلقد جاء في النصوص المصرية القديمة ما يثبت وجود اخشاب ضخمة في شبه جزيرة العرب ، وان المنطقة الواقعة بين « الملا » و « معون » او « معان » من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر من اراضي نمود قديما ، قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالاشجار ، ولعل ذلك كله هو الذي حمل المصريين القدماء على ان لا يسوا بلاد العرب باسمها الخاص بها ، وانما سموها في كتاباتهم بـ « أرض الله » ، ووصفوها بنتاج اشجارها من البهار والتوابل (3) .

اما الروايات اليونانية والرومانية القديمة فكانت تقول صراحة بوجود انهار طويلة في بلاد العرب (4) .

— فان هيرودوت (ابا التاريخ وقد زار بلاد العرب بنفسه) قد ذكر خبر نهر في بلاد العرب دعاه « كورس » ، وقال عنه انه من الانهر العظيمة ، وانه كان يصب في البحر الاحمر ، وان ملك العرب قد كان عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة انايب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، تمتد الى الصحراء على مسيرة اثني عشر يوما من النهر ، فتصب في مواضع منقورة تستعمل لخزن المياه .

— وكذلك ذكر « بطليموس » اسم نهر عظيم سماه « لار Lar » وقال انه ينبع من منطقة «نجران» ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترفا بلاد العرب حتى يصب في الخليج الفارسي .

وهكذا فقد تضافرت ايضا الاخبار القديمة لتدعيم حقيقة ما قد كانت عليه بلاد العرب من انواء رطبة وامطار وانهار ، كما جاءت في معنى ذلك نظرية كيتاني ، وكما دصمها المعنى اللغوي لكلمة « عرب » ومادتها في اللغة العربية واللغة العبرانية كما اثبتنا تحقيقه اعلاه .

في نصوص القرآن والسنة

والآن ناتي في آخر المطاف من هذا البحث السريع الجديد الى معجزة الاخبار في ذلك ، وهي

- 1 انظر سفر الخروج ، الاصحاح الثالث ، الفقرتين 7 - 8 ، وكذلك سفر التثنية ، الاصحاح الحادي عشر ، الفترة الثلاثين .
- 2 انظر كتابي « المدخل الى التاريخ العام للقانون » ، الطبعة الثانية سنة 1963 ، الصفحة 578 .
- 3 تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحتان 102 ، 105 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات ، لطف باقر ، الجزء الثاني ، الصفحة 92 .
- 4 تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحة 189 .

ويتفق مع نص الآية السابقة من كثرة الامطار والانهار قديما في شبه جزيرة العرب ، ما جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه ، وحتى تصود ارض العرب مروجا وانهارا » . ففي قوله عليه الصلاة والسلام « حتى تعود » صراحة جازمة ايضا بما كان في جزيرة العرب قديما من مروج وانهار لكثرة الامطار، وانها ستعود مروجا وانهارا .

وقد نقل هذا الحديث ايضا الامام احمد في مسنده مبتدئا بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى تعود ارض العرب مروجا وانهارا ... » ، وكذلك رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، وكذلك صاحب كنز العمال .

الخاتمة

وبالإشارة الى اصول هذين الباحثين الاخيرين من نصوص القران والسنة الكثيرة مما لا يتسع المقام لاكثر منه ، تكون :

أولا - قد اتينا على آخر الادلة في هذه الدراسة الجديدة حول معنى كلمة « العرب » وجميع مادتها ، وانها الماء الكثير الصافي خلافا لما زعمه المبرانيون في معاجمهم من ان مادة الكلمة تعني الصحراء والجفاف كما نقله عنهم المستشرقون اليهود ، وكما اثبتنا كذبه بنصوص توراتهم المعروفة « بالمعهد القديم » .

ثانيا - تكون ايضا قد قضينا على المشكلة التي اثارها المستشرقون اليهود امام الجزم العلمي بان الحضارة الانسانية الام انما نشأت من جزيرة العرب ، ومنها انتشرت في بلاد الرافدين في العراق ، وفي وادي النيل في مصر على ايدي الهجرات العربية القديمة فيما قبل التاريخ وبمدها ، من عهد قوم عاد « التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وعمود الذين جاؤوا (قطعوا) الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد (الاهرامات) » .

ونرجو ان تكون كلمتنا هذه الوجيزة في بحثها خير باحث للقارئ العربي الكريم على العمل لتصحيح التاريخ وتقيته من كثير من افلاط المستشرقين اليهود الذين كان معظمهم حربا ثقافية علينا ، قبل ان تكون صهيونية اليوم حربا علينا سياسيا واستعماريًا .

نصوص القران والسنة التي لا تدع بعد ذلك شكنا فيما نقلناه عن انوار جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وان جزيرة العرب كانت ذات انوار رطبة ، وسماء كثيرة الامطار ، وارض كثيرة الانهار .

والمعجزة في هذه النصوص انها تدعم منذ نحو اربعة عشر قرنا وبكل صراحة تلك البحوث والاتجاهات التي انتجتها الدراسات العلمية الحديثة ، تلك الدراسات التي لم يكن من الممكن لها ان تقوم في تلك العصور ، ومن قبل امة امية حين نزل عليها القران المعجز في كل شيء .

اما نصوص القران الكريم فقد قاربنا نحوا من اربعين آية ، وجاءت كلها في معرض التذكير للعرب في عهد الرسول العربي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ، والدعوة الى الانعاط بين تقدمهم من الاقوام اصحاب المياه والجنان والممران والقوة والانتار:

— من قوم عاد واهل سبا في اليمن وما حولها من جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وخاصة قوم عاد من العرب البائدة ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم نوح بعد كارثة الطوفان (سورة الاعراف ، الآية 69) .

— وكذلك قوم ثمود في شمال شبه جزيرة العرب ومطالع بلاد الشام ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم عاد بعد ان ابادهم الله (سورة الاعراف ، الآيات 72 - 77)

ونكتفي هنا وفي هذا البحث الوجيز بنقل آية واحدة من القران الكريم ، وهي الآية السادسة من سورة الانعام ، اذ فيها كل ما نريده من صراحة القول ، وقطعية الدليل ، حينما خاطب العرب في عهد ظهور الرسالة الاسلامية ، وتذكيرا لهم بمن قبلهم من الاجداد في سالف الازمان حين عصوا الله فاهلكهم ، فقال في ذلك : « ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن، مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ، وارسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ، فاهلكناهم بذنوبهم وانسانا من بعدهم قرنا آخرين » .

ففي ذلك صراحة ليس بعدها صراحة في وجود الاجواء المظرة والانهار لدى سكان شبه جزيرة العرب القدماء ، كما قد يبرهن عليه البحثة كيتاني بوسائل العلم الحديث ، مما قد تفسر مع هلاك اولئك الاقوام ، وهو كما يبدو من اعظم اسباب التمكين لاولئك الاقوام في الارض العربية ، وللحضارة الانسانية الام الاولى فيها مما لم يكن لعرب فيما بعد ، وخاصة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كان الجفاف قد استولى على الجزيرة العربية في معظمها .

فروع اللغة العربية وانتشارها

الأستاذ عبد الرحمن الكلبالي

وتقرب الحروف التي ابتدموها، والابجدية التي وضعوها فكانت لكل منها لهجته التي تختلف عن غيره باللفظ، وبعض المعاني حسب المحيط الذي نشأ فيه وحسب التطور الاجتماعي، والحضاري، الذي وصل اليه.

العرب قبل الاسلام :

قال المؤرخ جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام » (ص 32) (اصطلاح المؤرخون في هذا المعمران يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والسريانية والعيشية والتي كانت تتفاهم بالاشورية والفنيقية، والارامية شعوبا (سامية) نسبة الى (سام) ابن نوح لان هذه الامم جاء في التوراة انها من نسله. وسموا لغاتهم (اللغات السامية). ولا خلاف بان هذه اللغات السامية متشابهة في الفاظها وتراكيبها، وانها من اصل واحد يسمونه (اللغة السامية) كما تتشابه فروع اللغة اللاتينية، او فروع اللغة السنسكريتية، فيقال مثلا ان اللغتين الإيطالية والاسبانية اختلفتا اختان مهما اللغتين اللاتينية. وان الفارسية والاوربية اختلفتا اختان مهما السنسكريتية. كما يقال ان اللغات العامة في الشام ومصر: المغرب، والعراق، والحجاز، واليمن، والسودان اخوات، اما اللغة العربية الفصحى، فهذه الامهات لا تزال محفوظة ويمكن رد بناتها اليها.

اما ام اللغات السامية فلا وجود لها الآن، وقد زعم فلاسفة اللغة انها العبرية وظن غيرهم انها العربية،

نستطيع تاريخيا ان نقول بان اللغة العربية نشأت في الجزيرة العربية مهد اللغة السامية وبناتها. وهي اقدم تلك البنات، واقربها الى هذه اللغة التي لم يتكلم بلهجاتها الا الساميون بعد ما خرجوا وتفرقوا خارج الجزيرة العربية في تاريخ لم يعلم مداه.

واللغة العربية، وهي فروع اللغة السامية لم تنشر خارج تلك الجزيرة الا بعد ظهور الاسلام. اذ امتد الفتح الاسلامي في سرعة لم يماثلها فتح آخر، الى بلاد سورية، والعراق، ومصر، وفارس، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، والسودان، والصحراء، وبلاد الاندلس، وجنوبي فرنسا، وجنوبي إيطاليا، وصقلية، ثم الى بلاد الترك، والافسان، والسند، والهند، وقافقاسيا، وسائر البلاد التي فتحها العرب ودانت بدين الاسلام، واشتركت شعوبها مع العرب الفاتحين في بناء حضارتهم وتكلمت بلفتهم وساهمت بنشر ثقافتهم وتعاليم دينهم.

اللغات السامية وما تبقى منها ؟

واللغات السامية لم يبق منها الا العربية، والعبرانية، والسريانية، والعيشية. وقد كانت البابلية، والاكادية، والارامية، والكنعانية، والتدمرية، والسبائية، تمثل لغة الاقوام السامية الذين تفرقوا في سورية، والعراق، وفارس، وفلسطين، ولبنان، وشمالى افريقيا. وكانت تكتب

وزعم غيرهم انها انبالية ، ولا تخرج اقوالهم عن حد التخمين) .

وقد باد اكثرها لان حضارة الاقوام والقبائل التي كانت تتكلم بها زالت ، ولم يبق منها الا اللغة العربية ، واللغة العبرانية ، واللغة السريانية ، واللغة الحبشية .

اللغة العربية والاقوام التي تتكلم بها :

اما اللغة العربية ففي الوقت الحاضر يتكلم بها ثمانون مليوناً من النفوس يقطنون البلاد العربية : (مصر واليمن ، والجزيرة العربية السعودية ، والكويت ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ، وبلاد الأردن ، وفلسطين ، وبلاد المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، وحضرموت ، وعدن ، والبحرين) . وكان يشيع استعمالها والتكلم بها كلفة دين ، وادب ، وعلم ، وفن ، وطب ، وفلسفة ، وتشريع ، وتجارة ، وسياسة ، بين الامم الاسلامية التي دانت للعرب ودخل الاسلام الى قلوبهم وديارهم وانتشرت حضارته بينهم ، ويقع تحت حكم خلفائهم وملوكهم وامرائهم اكثر من تسعة قرون ، من عصر صاحب الرسالة المحمدية وخلفائه الراشدين وزمن دولة الامويين والعباسيين ودولة الفاطميين والابويين في مصر وسورية ، والعراق ، وشمالى افريقيا ، ودولة الامويين في الاندلس ومن حكمها ، وحكم شمالي افريقيا من دولة الموحدين والمرابطين وملوك بني حفص وغيرها ، ودولة الحمدانيين وبني مرداس والمالكي السلجوقيين ، والجراكسة في بلاد الشام ومصر ، ودولة آل بويه في العراق ، ودولة خوارزمشاه ، والأتاكية ، وبني آرتق ، ثم دولة ملوك سامان فيما وراء النهر وخراسان ، ودولة ملوك آل سبكتكين ، ودولة بني طولون ، ودولة الاخشيدية في مصر ، وملوك كرمان وغزته ، الى ان انتهت الخلافة العربية وقام بالفتوحات دولة بني عثمان ، ودولة هلاكو والتتار ، وملوك فارس ، وحلت لغات هذه الدول التركية والتتارية والفارسية والاوردية في بلادهم محل اللغة العربية . واخذ كل من هذه الدول ينشر لفته في بلادها وارجائها ، ولكن بالرغم مما اصاب الامبراطورية العربية ، والبلاد الاسلامية من كوارث ومعن وانحلال فقد بقيت اللغة العربية في هذه البلاد لغة الدين والشرع والعبادات ، والتعليم ، تقوى وتضعف حسب تطور كل دولة وكل مملكة ، وبمقدار تمسك اقوامها بالدين الاسلامي ، وتعاليمه ، وبمقدار انتشار الطم وزوال الامية من بين افرادهم ، وبمقدار وجود المدارس

الدينية ، والمؤسسات الروحية ، والجامعات العلمية ، ووجود المكاتب العامة ، والخاصة ، والمطابع ومطبوعاتها في البلاد الاسلامية وفي البلاد التي توجد فيها اقوام اسلامية كالهند ، والصين ، وبلاد غربي آسيا وبلاد السوفيات ، وتركيا ، ودول افريقيا المسلمة ، واندونيسيا ، وافغانستان ، وباكستان .

اللغة العبرية ، واللغة الحبشية ، واللغة السريانية ، وما آلت اليه كل منها :

واما العبرية فقد انحصرت في بقايا بني اسرائيل بحسب العوامل الزمنية والسياسية ، والثقافية . وانحصرت السريانية في بعض القرى والاماكن التي يقطنها بقايا الاشوريين في العراق ، وبعض قرى لبنان ، وسورية ، وايران .

وانحصرت الحبشية (الامهرية) والصومالية والحميرية) بسكان اثيوبيا والصومال .

وتختلف اللغات الانسانية في مبلغ انتشارها كما ذكر الدكتور علي عبد الاحد الوائلي في كتابه (علم اللغة) اختلافا كبيرا ، فمنها ما يتاح له فرص مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الارض ويتكلم به عدد كبير من الامم ، كما للابينية والبورنغالية والفرنسية والالمانية في المصور الحديثة .

(ومنها ما تسد امامه المسالك فيقفى عليه ان يظل في منطقة ضيقة من الارض ولثة قليلة من الناس) .

اسباب انتشار اللغة العربية :

اما انتشار اللغة العربية فيعود الى عدة عوامل :

اولا — ان اللغة المذكورة عاشت في صراع مع لغة اخرى او لغات اخرى . وتقضي نواميس التنارع اللغوي ان يكتب لها النصر فتحل مناطق اللغة او اللغات المقهورة فينتسج بذلك انتشارها . وتدخل امم جديدة في عهد الناطقين بها ، كما حدث للغة اللابينية في العصور القديمة وكما حدث للغة العربية في العصور الاسلامية اذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الاخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية حتى بلغ عدد الناطقين بها (80) مليوناً من النفوس ينتمون الى خمس عشرة دولة بعد ان كانوا لا يتجاوزون عشرة الاف يقطنون منطقة في الجنوب الغربي والشمالي من جزيرة العرب .

ثانيا - ومن دوامي انتشار اللغة ، ان ينتشر افراد شعب ما على الر هجرة ، او فتح او استثمار يتم فى مناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاولى وتكون من سلالاتهم بهذه المنطقة امة ، او امة متميزة كثيرة السكان ، والامثلة على ذلك كثيرة فى المصور القديمة والمصور الحديثة .

فى المصور العربية القديمة هاجرت قبائل عديدة من العرب يمنيون وعدنانيون كما جاء فى تاريخ خطط الشام وتاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد هاجرت (سليخ وعنان) والضجائف الى الشمال من بلاد الشمال ، وهاجر التوخيون الى الجنوب وسليم ، وقضاة ، وعاملة الى فلسطين ، ثم لحم ، وحزم ، وذبيان وكلب الى الرملة والجولان ومصر . ثم جهينة والقينة وبهراء ، وتنوخ الى حوران وجبال الشراة ومدائن صالح ، ثم اباد وطى وكندا ، وزبير وهمدان ويحصب ، وقيس ، وهم من عرب اليمن فنزلوا حمص وحماء وسلمية ، وتدمر ، وحلب وكانت دمشق منازل ملوك غسان ، واهلها وما جاورها من قبائل وقرى من بطون قيس ، وبها جماعة من قريش .

وكان من تأثير تلك الفتوحات والهجرات المتواليات ، وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها ، وعلومها ، وآدابها ، لان الدين هاجروا الى تلك البلاد حملوا معهم حضارة الشرق الاسلامي ، وتعاطوا التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، واختلطوا بالسكان فاحكموا الاندماج ، والترابط ، والامتزاج ، ونشروا الدين وعمموا العلم ثم تعاونوا على تأسيس الملك وادارته وبناء المدارس ، والجوامع ، والمعاهد ، واسسوا المكاتب ، واكثروا من التأليف والنشر . وكانوا فى اخلاقهم ودينهم ، وآدابهم ، ودفاعهم عن الحق وحرية الفكر ، والعمل ، وفى تنفيذهم لاحكام الشريعة فى قضائهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وفى دفاعهم عن كرامة الدين والوطن من اعدل الحاكمين كما شهد بذلك « فوستاف لوبون » العالم الاجتماعى النفساني .

وسكن بنو تنوخ بقاع حلب ، ومنبج ، والموصل . وسكن بنو بكر بن وائل ديار بكر واورفه . ولم تقتصر الهجرات العربية الى سوريا وفلسطين ولبنان ، بل امتدت الى العراق ايام المناذرة ، وزادت اكثر فاكثر ايام الفتح الاسلامي عندما قاد الجيوش العربية سعد ابن وقاص ، وخالد بن الوليد ، وابو عبيدة بن الجراح ، ثم تابعت ايام الامويين وايام العباسيين فامتدت الى بلاد واسط والكوفة والبصرة ، وبغداد ، والموصل ، والرقه ثم الى بلاد فارس وما وراء النهرين وبلاد افغانستان والسند والهند والصين ثم الى قافقاسيا حتى باب الابواب وكذلك تدفقت هجرة القبائل العربية ايام عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وموسى ابن نصير وغيرهم من قواد العرب والفاتحين الى شمالي افريقيا والسودان ثم الى بلاد الاندلس حتى جنوبي فرنسا وجنوبي ايطاليا ، ثم الى صقلية . فاستوطنوا وتزوجوا واختلطوا مع البربر وانشأوا المدن ، والقرى والثغور ، والعواسم ، واقاموا المنشآت واسسوا الحضارة ، وعملوا على نشر الاسلام والعلم ، واللغة العربية ، وكانوا فى حكمهم عادلين وفى فتوحاتهم بانين ، وفى حضارتهم حاملين لخير الدنيا والدين فلم تقو هوداي الزمن وعواصف الايام على ازالة آثارها الخالدة وما لها من فضل على الاجيال الالية .

وكانت جهودهم ارقى المهود اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصاديا ، وثقافيا يبرهن عليها ما الف فى ايامهم من ملايين الكتب ليس فى بلاد الاندلس ومصر والعراق والقيروان فحسب بل فى سائر البلاد الاسلامية وكلها باللغة العربية حاوية انواع العلوم والفنون والآداب وبالخاصة ما الف ونشر فى بلاد فارس ، والهند ، وبخارى ، وطاشقند ، وحيدر آباد ، ودلهي ، ثم ما ظهر فى جميع البلاد الاسلامية من علماء وفلاسفة ، واطباء ، وادباء ، وشعراء ، وفلكيين ، ورياضيين ، وكيميائيين ، وبنائين ، ورجال صناعة ، وتجارة ، وفن ، ورجال حرب ، وهندسة ، وزراعة وهمران فى مصور عبد الملك ، وابنه الوليد ، وابنه هشام ، وكذا فى ايام جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، وفى ايام الفاطميين ، والحمدانيين والامويين فى الاندلس ومن اتى بعدهم من الموحديين والمرابطيين ، كل هذا وسواه ليدل الباحث على ما وصل اليه العالم العربي الاسلامي من الرقي وما كان من انتشار الدين الحنيف من تأثير على انتشار اللغة العربية ونهضتها وما كان لحضارتهم من تقدم وعز ومنعة ، وسمو وحرية ساعد على رقي المدينة الاسلامية والتقدم البشري مع التقدم فى الآداب ، والدين ، والاخلاق الذى ضمن رفاهية الشعب ، وقيام الشانسي والبيمارستانات والختاهاات والسبيل ، والمبرات

والملاجه والمعاهد ، والمكاتب ، ودور الإيتام بسرمة
حيرت المؤرخين والباحثين .

وفى ذلك يقول الفيلسوف اوزفالد شينغلر
الإلماني فى كتابه عن سقوط الحضارة الغربية :

« ان الحضارة العربية كانت تؤمن بثلاثة ابعاد
(الطول والعرض والعمق) لكن الفرق بين العمق
الفادستي (الفادستية مذهب منسوب الى فادست
الإلماني الطبيب العالم الاسطوري الذي باع روحه
للسيطان وعليها بنى « فوته » روايته فادست ،
والعمق الغربي ان الاول يتسامى ليخلق فى الفراغ
بينما العمق العربي يتحدر ليفوس فى الإصمق لباطن
الأرض ، وهذا وحده كاف ليفسر لنا سر الحميا
الجبارة التى دفعت بالحضارة العربية مندما انطلقت
اخيرا من قيودها واغلاها لتلقى بظلالها على جميع
البلدان التى تنتمي اليها باطنيا منذ قرون وقرون
وقرون سبقت انطلاقتها الاولى .

ان هذه الحميا لدلالة على ان النفس العربية هي
فى عجلة دائمة من امرها . فهي تلاحظ امراض
شيخوختها حتى بلوغ شبابها . وانه والحق يقال
لا مثيل هنالك فى التاريخ لتحرر الجنس الوثني
وانطلاقه كما حدث للجنس العربي بتحرره السريع ،
وانطلاقه الممجز ، فلقد فتحت سوريا لا بل حررت
عام 634 م . وسقطت دمشق عام 637 م واستعيدت
مصر عام 645 م . وبلغ المغرب الهند فى ذات
التاريخ . وفى عام 647 م عادت قرطاجنة . وفى عام
676 م استعيدت سمرقند . وفى عام 710 م سقطت
اسبانيا . وفى عام 734 م اخذ العرب بقرعون ابواب
باريس .

لقد ضغطت فى هذه السنوات القلائل جميع
المواطن العربية المدخرة ، والامال المؤجلة ، والاعمال
المحفوظة ، هذه التى يكفى لتملا قرونا وقرونا من
التاريخ) .

ثم يقول الفيلسوف المنصف (فالصليبيون امام
القدس ، وسلالة هوهنشتاوغن فى صقلية ، والهانسبا
فى البلطيق ، والفرسان التيوتينيون فى الشرق
السلافى والاسبان فى امريكا ، والبرتغاليون فى الهند
الشرقية ، وامبراطورية شارل الخامس التى لم تغرب
الشمس عنها ، وبداية العصر الاستعماري الانكليزي
تحت رعاية كرومويل هذه الانطلاقات كلها تعادل فى
زخمها انطلاقة واحدة حملت المغرب الى اسبانيا
وفرنسا وجنوبي ايطاليا والى الهند وباكستان) .

— الاسباب الاخرى لانتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب الفعالة التى ساعدت على انتشار
اللغة العربية خارج البلاد العربية يرجع ولا شك الى
الاسلام ذاته ، فى عدالته وصدق معاملاته ، وقضائه ،
مما جلب قلوب الرهايا وحجب الى النفوس تملها ،
والايمان بشريعتها ، والطاعة لقرءانها .

ثم لاطلاق الاسلام الحرية فى العقيدة ، والفكر
والعمل وفقا للقاعدة الاساسية الاسلامية التى اهلنها
(الخليفة الثانى عمر) عندما سال عامله (متى استمبدم
الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟) .

ثم للمساواة التى شرعها الاسلام بين افراد
الناس على اختلاف طبقاتهم ، وملهم والوائهم ،
ونحلهم ، اذ جعل الجميع يتساوون امام الحق
والمسؤولية والشريعة ، اذ تقول الآية الكريمة (ان
اكرمكم عند الله اتقاكم) وينص الحديث الشريف
قالا (ليس لعربي على اعجمي من فضل الا بالتقوى) .
ثم يقول الرسول الاعظم (الخلق كلهم ميسال الله
واقربهم اليه انفعهم لعياله) ، وفوق كل ذلك امر
الاسلام بالعدل بين جميع الناس فقال عز من قائل
(ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فهذه المبادئ
التي قام عليها الاسلام وغيرها انفتحت القلوب المغلقة ،
واسهم الناس ، واطاعت الشعوب ، وتعلمت افرادها
اللغة العربية لغة القرآن والحديث .

فالشعوب والامم مهما تكن اجناسها ، ونحلها ،
والوانها ، وانوامها ، لا تقبل على طاعة الحاكمين ؛
وتتعلم لغتهم عن رغبة وطوامة ، وتخضع لاحكامهم
بقبول ورضى ولا تعيش فى ظلمه بناءة ، عاملة ،
ومنتجة ، وهادئة ، الا بفعل العدل ، والمساواة
والرعاية ، والحرية والشعور بالحماية والتعاون ،
حسب منطوق الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع
مسؤول عن رعيته) اذف الى هذه الفضائل والمبادئ
السامية ، روح النفس العربية فى الامة ذات القومية
المتفتحة ، غير المتعصبة ، ولا المحتكرة ، قومية
تنظمها الاخلاق ، الاخلاق الحميدة ، والحميدة فقط
على وجه التخصص ، الاخلاق التى تغلب المصلحة
العامية على المصلحة الخاصة ، والوجدان على العقل ،
والعدل على الظلم ، والروية على الأندفاع ، والعفو
على السفك ، اخلاق تؤمن بان الغاية الشريفة لا يجوز
ان يسلك اليها بوسائل غير شريفة ، وهذا ما جعل
بانتشار الاسلام ولفته وساعد على تعرب الاقوام ،

اغف اليه اهتمام الراعي برعيته ومسؤوليته تجاهها، وصلاح اللغة العربية للنمو والتوسع والتطور . واخيرا تشجيع ذوي الامر من ملوك و خلفاء وامراء ووزراء لرجال العلم والعلماء والتعليم والهداق الاموال الوفيرة والمكافاة السخية لخدمتهم العلم ونشره والتأليف فى مختلف انواعه ولمن درس وخدم اللغة والشريعة والادب والفن .

– العوامل الاخرى التى ساعدت على انتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب التى ساعدت على انتشار اللغة العربية ، مقوماتها الطبيعية فى الاوطان الاصلية نفسها، فياخذ افرادها ، وطوائفها فى الريادة المطردة ، وتنشط حركة الاقتصاد والعمران فى بلادها ، فتكثر فيها المدن والقري ، والداكر ، والعواصم ، وتتعدد المناطق ، والاقاليم ، فيتسع لذلك نطاق انتشارها ، ومدى ارتقاها ، كما حدث لكثير من الدول كالانكليز ، والافرنسيين ، واليابان ، والاسبان ، والبرتغال فى بلادهم والبلاد التى احتلوها ، واستمروها والنس هاجروا اليها .

ثم شغف العرب وطماعهم للحصول على المعرفة والعلم اينما كان ومن حيث كان والاخذ بهما من مواردهما، والعمل على نشرهما، وقد سار الاقدمون من العرب وبهم المتأخرون على هذه السنة ، وشاركهم فى ذلك اهالي البلاد التى دانت لهم فكثر من بينهم حملة العلم ، والنبغاء ، وارباب البحر والاختصاص ، وظهر فيهم اهل الواهب والذكاء فترجموا كتب الاقدمين من هنود ومجم وسريان ويونان الى لغتهم العربية واستقدموا منهم الفلاسفة والاطباء والعلماء الى بلادهم للاستفادة منهم وللترجمة والتدريس . ونقلوا من البلاد البعيدة ذات الحضارة الكتب العلمية واتشأوا دورا للنقل والترجمة والكتيب للدروس والمطالعة ، وبنوا المدارس والمعاهد العلمية للتعليم والتدريس ، واسسوا الجامعات فى عواصم بلادهم . وبدلوا المال بسخاء لم يصرف له نظير . وتبادلوا مع انشعوب ما رزقهم الله به من علم ولغة وادب وفن وتجربة .

وبهذا الشغف والظما ، والتشجيع والسخاء والكرم – الدافع القوي – والخصلة السامية ازدهرت الحضارة العربية ، وعم الاسلام ، وانتشرت اللغة العربية ، ونبع العلماء ، والشعراء ، ورجال اللغة

والادب ، والقراء ، والفقهاء ، ورجال الحديث والمة المداهب ، والمؤرخون ، واصحاب التفاسير ، والاطباء ، والفلاسفة ، والقضاة ، والمهندسون ، والرياضيون ، والفلكيون ، وسواهم من صنوف العلماء والادباء والمتخصصون وكلهم تنقف بالثقافة العربية وباللغة العربية ، لثة الدين والحكم والتأليف ولغة الدولة ، ولغة العلم والفن والادب ، والفنساء والموسيقى ، تجمهم لغة القراء والحديث واللغة الفصحى وان كانوا من اقوام مختلفة وطبقات متباينة واقاليم قريبة او نائية ، وان كانوا فى لهجاتهم متفرقين ، فللغرائى لهجته وللشامى لهجته وللمصري لهجته وللمغربي لهجته وللخراسانى لهجته ، هذا لهجات العواصم والمدن ، والارياف ، ولهجات اهل اليمن والحرف ، ولكن الخمسمائة مليون من العالم الاسلامى لم تخرج لهجتهم عن اللغة الفصحى التى حفظها القرآن والحديث فيما يؤلفون وينشرون ويتعلمون ويدرسون ويتراسلون .

وقد ساعد على انتشار اللغة فيما هذا ذلك فى القرون التى تلت ظهور الاسلام وفى عصرنا الحديث ازدهار حركة التأليف والنشر فقد ملئت الدنيا بالؤلغات المخطوطة فى كل علم وفن وادب .

وكان من المحزن، والمؤسف، ومن الخسارة التى لم نعوذ ، ان اصيب العالم الاسلامى فى الشرق والغرب بغزوات المغول ووحشيتهم وبغزوات التتار ومظالمهم والصليبيين وحروبهم ، والاسبان وبربريتهم ومحاكهم فى بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس ، فارتكب الجميع قتل المغلوبين ، ونهب اموالهم وقصورهم وتهجيرهم بعدما خربوا القلاع ، والمساجد ، وائلغوا معظم المكاتب وما فيها من مخطوطات ، ونفاس واغاموا على العالم ثروة لا مثيل لها من العلم ، والحضارة . وقد شادت الاقدار ان يكون نصيب بغداد من الضياع فوق ما يتصور فقد بقي ماء دجلة عسرة ايام اسود من كثرة ما القى فى جوفه من المخطوطات لتمر من فوقها الجنود .

– اثر القراء والحديث والاسلام فى انتشار اللغة العربية ونموها ، وتطورها ، وارتقاها :

وفى هذا الموضوع يقول صاحب كتاب فقه اللغة الاستاذ الجليل الدكتور على عبد الواحد، ما يلى: (ان القراء العظيم مفخرة العرب فى لغتهم اذ لم يتح لامة من الامم كتاب مثله (لا دينى ولا دنيوى) من حيث

البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب سواء حين يتحدث من الله الواحد الاحد، وعن عبادته، وعظمته، وجلاله، او عن خلقه للسموات ، والارض ، وما بينهما، او عن البعث والنشور، او حين يشرع للناس مناهج حياتهم ، ويقيمها على اسس قويمه ومبادهيه سامية تحقق لهم السعادة في الدارين الاولى والاخرة، وحين يقول الله في كتابه مخاطبا الانسان « ابلغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

وبعد هذا يمكن تلخيص العوامل التي اثرت تعاليم الاسلام وكتابه المنزل على رقي اللغة العربية وانتشارها وتهذيبها وتوحيدها بما يلي :

أ - تقوية سلطان اللغة القرشية . فقد كان لمجيء القرءان والحديث بلغة قريش وهما دعامة الشرع الاسلامي الذي امتنقته قبائل العرب اعظم تأثير في توطيد هذه اللغة وتثبيت اركانها وقواعدها وتقوية سلطانها على الالسنه واللهجات

ب - تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها الى ارقى مستويات اللغات والاداب .

ويبدو اثر ذلك في مختلف النواحي اللغوية (في الاغراض ، والمعاني والاخيلة ، والاساليب) .

اما الاغراض : فقد اتمت ايما اتساع بفضل

القرءان ، والحديث ، وبانتشار الاسلام وتعاليمه في امم ذات ثقافات مريقة ، وبما افاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات وقد فتح القرءان والحديث للغة العرب ابوابا كثيرة من فنون القول مولجت فيها امور لم تكن العربية هالجتها من قبل، وذلك كمسائل القوانين والتشريع والقصص ، والتاريخ ، والمقائد الدينية ، والجدل فيما وراء الطبيعة ، والاصلاح الاجتماعي ، والنظم السياسية، وشؤون الاسرة ، واصول القضاء ، ودراسة مظاهر الكون والحياة ، والفلك ، والطبيعة والنبات والحيوان وهلم جرا .

ثم يقول الاستاد علي عبد الواحد (وقد اضيفت الى هذه الاغراض فيما بعد اغراض كثيرة يرجع فيها الفضل الى الاسلام وانتشاره ، واتساع رقعة المملكة العربية وارتقاء مظاهر المدنية فيها . والى ما ورثه

العرب من الامم التي دانت لهم ولحضارتهم ، من علوم ، وفنون ، وصناعات ، وثقافة ، وصران . وما اقتبسوه من لغاتهم وفنونهم ، وما ترجموه من مؤلفاتهم في مختلف الشؤون ، واوجه الحياة . فتناولت العربية بجانب ما تناولته من قبل ، شؤون التأليف في الرياضيات والفلك والطب والطبيعة والمنطق والكيمياء والفلسفة ، والفقه ، وفنون اللغة ، والنقد الادبي ، وتاريخ الادب والرسائل السياسية ، وضبط امور الدولة وتنظيم شؤون الدواوين ، والرد على المذاهب الزائفة ، ومقاومة الكفر والزندقة والالحاد ، وصنع القصة والرواية ، والمقامات وهلم جرا .

وقد نجم عن اتساع اللغة العربية وارتقائها في ناحية الامراض اتساع وارتقاء في ناحية الاخيلة والاساليب .

ثم قويت على تجلية المعاني الدقيقة التي جلبتها

العلوم السابق ذكرها واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين المنطقية ، والادلة الفلسفية وادخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتهذبت اساليبها ، وتشكلت في صور الاساليب العلمية) .

ثم يقول (واما المفردات ودلالاتها ، فكان الاثر

فيها واضحا كل الوضوح ، فقد تجرد كثير من معانيها القديمة ، واصبحت تدل على معاني خاصة تتصل بالمبادات والشعائر ، وشؤون السياسة ، والادارة والحرب ، ومصطلحات العلوم والفنون ، ومن ذلك الفاظ الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والخليفة ، والامام وامير المؤمنين ، والقاضي ، والوالي ، والعامل ، والكاتب ، والوزير ، والشرطة، والدرك ، والوظيفة ، والقطاع ، والجريدة ، والصائفة (التي تذهب ايام الصيف) ، والشاتية (الكتيبة التي تذهب ايام الشتاء) والمرزقة، والمتطومة ، والشحنة، والثغور ، والعمارة ، ودار الصناعة ، وديوان الجند، وديوان الرسائل ، وديوان الخاتم ، والسريسر ، والسكة والطراز ، والمقصورة ، والتمجب ، والنمت ، والتوكيد ، والتجويد ، والحد ، والتعزير ، والتكدير، والشبهة ، والقياس ، والتعريف ، والتصريف ، والقضية ، والسالبة ، والوجبة ، والمقدمة ، والنتيجة ، والصرع ، والاستسقاء ، والدبحة ،

ثم يقول الاستاذ (ولا شك ان هذا الحفظ اتاح للهجة قريش ان لا تنتشر في العالم الاسلامي فحسب، بل تحفظ ايضا ، وتظل على مر العصور جديدة فضة لا تبلى مع الزمن ثم انها اكتسحت ما لقيت من لغات، اذ اتخذتها شعوب لامداد لها لسانها ، فاصبح هو اللسان الادبي واللسان العلمي من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسي . فكل من عاشوا في هذا الاتحاد تكلموا العربية القرشية اذ حلت محل لغتهم الاولى واصبحوا عربا يمشون بالعربية الفصحى عن مشاعرهم ومقولهم ، وهو اطفالهم ، ومعارفهم بفضل القرآن . فهو الذي حفظ العربية من الضياع ونشرها في الارض وجعلها لغة حية خالدة .

وثاني آثاره انه حول العربية الى لغة ذات دين سماوي وبذلك اصل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها .

ويقف عادة مؤرخو الادب عند الفاظ ابتداء مثل الفرقان ، والكفر ، والايمان ، والاشراك ، والاسلام ، والنفاق ، والصوم ، والزكاة ، والتميم ، والركوع ، والسجود ، والتشهد ، والتسليم ، والتكبير ، والاذان ، والقنوت ، والتشهد ، والطلاق ، والفاخرة وغير ذلك من كلمات الدين الاسلامي . ولكن من الحق ان المسألة لم تكن مسألة الفاظ انما كانت مسألة دين جديد له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه .

وبمر الزمان تكونت حوله علوم ، ولا مبالفة اذا قيل ان كل ما كسبه العرب من علوم ومعارف ، انما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حب للعلم كما تقدم ، ومن هذه العلوم المختلفة علم التفسير ، وعلم اسباب النزول ، وعلم اجزاء القرآن وعلم نحوه واهرابه وعلم خاصه وعامه ، مما هيأ علوم البلاغة .

ومن العلوم المهمة المتفرعة عنه علم الفقه واصوله . ولا نبأخ اذا قلنا ان العلوم الاسلامية كلها قامت لخدمة القرآن وتعاليمه فهو الذي هيأ بقوة نهضة العرب والاسلام العلمية .

وثالث آثاره كما ذكر العلامة الدكتور شوقي ضيف في تاريخه عن الادب العربي (ان القرآن هذب اللغة العربية من الحوضى ، ومن اللفظ الغريب . فاقامها بهذا الاسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ، ولا لاحقة في العربية ، هو الذي اقام عمود الادب العربي منذ ظهوره فعلى هديه اخذ الكتاب

والربو ، والوافدة ، والامزجة ، والشلل ، والمثلث ، والمربع ، والدائرة ، والكون ، والحوادث ، والوجود ، والعرض ، والازل ، والابد ، والبداية ، والنهاية ، والمطلق ، وما الى ذلك من آلاف وآلاف المفردات التي تستخدم في مختلف العلوم والفنون . وبجانب هذه الالفاظ العربية الاصل ، اقتبس العرب لنفس الافرار الفاظ امجية من لغات كثيرة وخاصة من الفارسية ، واليونانية ، والسريانية بعد ان هربوها وصقلوها بمناهج اللسان العربي . ومن ذلك الفاظ البند ، والديوان ، والمسكر ، والصهرنج ، والقيروان (اي القافلة) والطنبور ، والبابونج ، والزرنج ، والمالغوليا ، والاصطرلابه ، والطلسم ، والفضطيس ، والقانون ، والاسطول ، والبارجة ، والفلسفة ، والهيولى وهلم جرا .

وقد جرت عاداتهم في الغالب ان يبحثوا للمعنى الجديد عن لفظ عربي عن طريق الاشتقاق - الذي هو من اهم خصائص اللغة العربية - او عن طريق المجاز ، واذا اميتهم الحيلة عمدوا الى تعريب اسمه الاجنبي . وكثيرا ما يلجأون الى هذه الوسيلة الاخيرة من باديء الامر ، اذا كان اللفظ يدل على معنى اصطلاحي دقيق يخشون ضياعه في ثياب اللفظ العربي .

- ما كان من آثار القرآن في الادب العربي :

اول آثار القرآن الكريم انه جمع العرب على لغة قريش ولهجتها الفصحى . وحقا كانت هذه اللهجة لسود القبائل في الشمال زمن الجاهلية . غير ان هذه السيادة لم تكن تامة فقد كان الشمره من الذين يستخدمونها غالباً .

اما قبائلهم فكانت تلوذ لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلا ، وكثيرا ، حسب قربها من مكة او بعدها ، فعمل القرآن على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية ، اذ كان العرب يتلون آياته وسوره آساء الليل واطراف النهار ثم اخذت هذه اللهجة تعم بين القبائل البدوية متغلغلة في الانحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية ولما فتحت الفتوح ، ومصرت الامصار ، اخذت لهجته لسود في مشارق الارض الاسلامية ومغارها ، اذ كانت تلاوته فرسا مكتوبا على كل مسلم ومسلمة . وحث الاسلام على حفظه وتلاوته .

والخطباء والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية .
مهتدين بدبياجته الكريمة وحسن مخارج الحروف
فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث
تحيط بمعناها ، وحيث تجلى من مفاهاها مع الرصانة ،
والجزالة ، والحلاوة .

وكان العرب ولا يزالون يتحفظون له . فهو
مجمعهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هداه مهما
اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم ، وأصاغرهم .

ويأتي الحديث الشريف بمد ذلك من حيث
التأثير على نشر اللغة العربية وتهذيبها ، لانه فصل
أركان أصول الدين ، وأحكامه التي أتت مجتمعة دون
تفصيل . وهو عماد السنة ، والرسول أوتي جوامع
الكلم ، ولم يتكلم بكلام كما يقول الجاحظ « إلا وقد
حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . »
وكان له الأثر البالغ في توسيع المادة اللغوية ، بما
أشاع من الفاظ دينية وفقهية . وأحاديث الرسول
المسندة ذات الفاظ عربية سليمة ، وكثر ثمين لها .
وقد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم
وأشعارهم ما أضاف إليها على مر العصور رونقا
وحلاوة .

— خصائص اللغة العربية ومميزاتها التي
ساعدت على نموها ، ونمو العلم ، والأدب :

تمتاز اللغة العربية من سائر أخواتها اللغات
السامية ، ومن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها
حتى قال السيوطي في « الزهر » أن المستعمل
والمهجور منها يبلغ عدده (12.313.780) والزيددي
يقول في « تاج المروس » أن الصحيح يبلغ
(6.620.000) والمعتل يبلغ (6.000) كلمة وذكر
أيضا أن كتابه حوى (120.000) كلمة .

وعدا من وفرة المفردات فإنها ذات أطراد في
القياس في أبنيتها ، ومن هذا ومن تنوع أساليبها ،
وعذوبة منطقتها ، ووضوح مخارجها ، ووجود الاشتقاق
في كلماتها يقول الأستاذ الفاضل محمد عطية
الإبراهيمي في كتابه الآداب السامية . وقد صانت
هذه الخصائص اللغة العربية زمن جاهليتها قرونا
سحيقة ، وهي في جزيرة العرب ودفعت تقدمها في
النظرية التي نشأت عليها آمنة شر الامتزاج
بالمفاهيم ، أو لهجة المغيرين حتى ظن كثير من العلماء
أنها وليدة المواضع وأصطلاح متعدد من حكماء

أهلها لأنها لغة فطرية وفطرية تدريجية ، من أقدم
اللغات السامية ، وهي أصلها على رأي كثير من علماء
عصرنا الشرقيين ، والغربيين . ثم يقول هذا ولا
يمكننا أن ننسى أن الأعراب والإيجاز ، والسجع ،
وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير ، تضاف إلى
خصائص هذه اللغة التي هي من أقدم اللغات الحية .
فليس في العالم اليوم لغة محكية أقدم منها . ولا
تزال تحتفظ بالأعراب تماما كاملا شأن جميع اللغات
القديمة .

أما اللغات المذكورة فعلى رأي الأستاذ الجليل
عمر فروخ فقد فقدت الأعراب في اللغة الدانماركية ،
واللغة الروسية ، وهناك للأعراب في اللغات الباقية .

ويبدو أن اللغة العربية ، انفصلت عن أخواتها
الشمالية من اللغة السامية الأم منذ زمن بعيد جدا ،
ثم هادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضا منذ
زمن بعيد .

ونحن إذا دققنا في اللغات السامية وجدنا اللغة
العربية أتمها صيفا وأكملها صرفا ونحوا ، وأرقاها
بيانا وبلاغة ، وأحسنها أسلوبا ، فمن أجل ذلك لا
يستبعد أن تكون هذه هي اللغة السامية الأم
والفصحى ، وأن البابلية ، والكنعانية ، والآرامية
والحبشية لهجات لها ، ومع كثرة الصلات التي كانت
بين عرب الشمال والجنوب منذ أقدم الأزمنة فإن لغة
حمير ابتعدت كثيرا عن اللغة المضربة (العربية
الشمالية التي نزل بها القرآن حتى قال أبو عمر
ابن الملا منذ صدر الدولة العباسية (ما لسان حمير
وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا) .

وكان جميع العرب الذين يسكنون النصف
الشمالي من الجزيرة في البحرين واليمامة ونجد
والحجاز سواء أكانوا ينتسبون إلى مضر أو اليمن ،
يتكلمون لغة واحدة ، وينظمون أشعارهم منها .

ولقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطنين
كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ،
ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها في أسواق العرب
أوفي جميع البلاد العربية في العراق والشام ، وحتى
في اليمن نفسها مما يدل على أن لغة مضر كانت في
الجاهلية اللغة العامة للعرب .

وبالرغم من هذا لم يمنع أن يكون للعرب
لهجات محلية مأثورة في قبيلة أو قبيلة . على أن
معنى اللهجة هنا ، إنما هو استعمال الفاظ مختلفة

للمعنى الواحد في بعض الاحيان ، والمجسيء بصيغ متباينة لتلك الالفاظ احيانا . اما التركيب ، واما النحو والمنطق اللغوي ، فكانت كلها واحدة .

ويقول الاستاذ علي عبد الواحد الوافي (ومن اهم خصائص اللغة العربية عاملان لم يتوانسرا لغيرها من اللغات السامية . احدهما انها نشأت في اقدم مواطن الساميين . وثانيهما ان الموقع الجغرافي لهذا الوطن قد ساعد على بقائها حينما من الدهر متممة باستقلالها وهزلتها .

وكان من اثر هذين العاملين ان احتفظت باكثر قدر ممكن من مقومات اللسان السامي الاول ، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه اخواتها السامية فتميزت عنها بغواص كثيرة منها ومن اهمها الامور الآتية :

أ - انها اكثر اخواتها احتفاظا بالاصوات السامية ، فقد اشتملت على جميع الاصوات التي لاخواتها ، وزادت عليها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها وهي (التاء ، الدال ، الظاء ، العين ، الصاد) .

ب - انها اوسع اخواتها ثروة في اصول الكلمات والمفردات فهي تشتمل على الاصول التي تشتمل عليها اخواتها السامية ، ومعظمها ، وتزيد عليها بأصول احتفظت بها من اللسان السامي الاول . ولا يوجد لها نظير في اية اخت من اخواتها هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ما لم يجتمع مثله للغة سامية .

ج - وتمتاز اللغة العربية عن غيرها بأن الاصل الواحد يتوارد عليه مئات من المعاني بدون ان يقتضي ذلك اكثر من تغييرات في حركات اصواته الاصلية نفسها مع زيادة بعض اصوات عليها ، او بدون زيادة ، وان كان ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ مثلا (علم ، علمنا ، اعلم ، يعلم ، تعلم ، اعلم ، اعلمي ، علم ، نعلم ، تعلم ، تعاليم ، علم ، يعلم ، علم ، علامة ، علم ، علوم ، اعلام ، علامات ، علم ، علامة ، علماء ، عالون ، متعلم ، معلم ، معلم ، معلم ، معلوم ، عالم ، عالون ، عالم ، عوالم) ... الخ. هذا ولم تعلم أي لغة سامية أخرى في هذه الناحية والى هذا الشاؤ .

د - ومن ذلك ايضا نظام جمع التكسير الذي لا تشاركها فيه الا اختاها الجنوبيتان اليمنية القديمة ، والحبشية . فقد توسعت هي توسعا كبيرا حتى اصبح للمفرد الواحد عدة جموع من هذا النوع ، (كنهز وانهر ، ونهور ، وانهار . وبحر وبحار ، وبحور وابحر) .

هـ - ومن مميزات النحوية تلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الازراب والنسب تتمثل في اصوات جد قصيرة تلحق اواخر الكلمات ، لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة ، وهذا النظام لا يوجد له نظير في اخت من اخواتها السامية ، اللهم الا بعض آثار ضئيلة في العبرية والآرامية ، والحبشية .

و - ومن خواص اللغة العربية ومميزاتا ، انها اوسع ثروة في اصول الكلمات والمفردات ، من اخواتها اللغات السامية ، هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها ، وفعلها ، وحرفها . ومن المترادفات في الاسماء والافعال ، والصفات ، ما لم يجتمع مثله في لغة أخرى . فلقد جمع للاسد خمسمائة اسم ، وللشعبان مائتا اسم ، وللعلل اكثر من ثمانين اسما . ويروي الفيروزبادي صاحب القاموس ان للسيف في العربية الف اسم على الاقل ويقدر آخرون ان للدهاية اربعمائة اسم ، ولكل من المطر والريح والظلام والناقة والحجر ، والماء ، والبئر اسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها ، الى ثلاثمائة في بعضها الآخر . وقد جمع الاستاذ (درهام) المفردات العربية المتصلة بالجمال وشؤونه فوصلت الى اكثر من خمسة الاف وستمائة واربعة واربعين وكذلك الشأن في الاوصاف فلكل من الكريم والبخيل ، والشجعان والجبان ... في اللغة العربية عشرات الالفاظ وقد احسن بيانها ابن سيد في كتابه « المخصص » ، كما احسن ابن جني في كتابه « الخصائص » ، وكما افاد كثيرا الثعالبي (في كتابه فقه اللغة) وكان صاحب تهذيب اللغة ابو منصور محمد بن احمد الازهري المولود سنة 282 والمتوفى سنة 370 ممن خدم اللغة واجاد في بيان خصائصها ومعاني مفرداتها ويوجد كثير من علماء اللغة ممن اتوا في تواميسهم وكتبهم ما يدل على فضلهم وبحرهم ، وعلى ما للغة العربية من خواص ومفردات تعد بمئات الالوف كما تقدم ذكره .

- اللهجات العربية وسبب حدوثها وماذا
تتناول :

اما اللهجات العربية فالبحت عنها ولا شك هام .
ويحتاج الى دراسة خاصة لانها يجب ان تتناول
اللهجات القديمة والحديثة . وهي متعددة كل منها
بحسب القبائل ، والاقليم ، والامان ، والطبقات
من المجتمع العربي وبحسب البيئة والثقافة . فلمصر
لهجتها ، وللمراق لهجته ، وللمغرب لهجته ، ولبلاط
الشام لهجتها وكذا لليمن، والحجاز ، والكويت ،
ونجد ايضا لبلاط شمالي افريقيا لهجاتها . وذلك
لاختلاف الاقوام والقبائل التي تسكنها واختلاف
حياتهم ومعيشتهم وحضارتهم .

وهو امر طبيعي يتبع قانون التحول ، والتطور ،
والانتخاب ، والحاجة ، والنزاع ، والتربية ،
واختلاف اللهجات قد يتناول الاصوات ، وقد يتناول
بنية الالفاظ وامرابها ، وقد تكون الالفاظ اصيلة او
دخيلة ، منحوتة او معربة ، معرفة او مشوطة ، وقد
يكون معناها مختلفا عن غيرها .

وقد يكون الدخيل الاجمعي او المنحوت ، او
المشتق قليلا او كثيرا تبعا لتقدم المجتمع وتأخره في
العلم ، والمدنية ، وتبعا لكون اصحاب اللهجة المختلفة
من الحكام او المحكومين او من المستعمرين او من
المستقلين ، وتختلف لهجات المدن عن الارياف ، وفي
القطر الواحد قد تمتد اللهجات بين النساء والرجال
وبين اقسام المدن ومحلاتها واحيانها ، وبين اقسام
التعلمين ، والاميين بحيث يصعب على ابن هذا القطر
الواحد ان يفهم الكلام الدارج من ابن القطر الثاني كما
تختلف لهجة رجال العلم ولهجة ارباب المهن والحرف
والصنائع والاعمال من رجال الفن ، والادب
والحكومة وارباب الحكم والادارة ورجال الحرب
والامن .

- ما هو المرجع للغة العربية وتوحيد لهجاتها
والباث لحفظ الفصحى وسلامتها ؟

مهما يكن واقع الحال في تعدد اللهجات في
الماضي والحاضر فلا مرجع لتقويمها وازالة منحرفها
وتوحيدها وحفظ الفصحى وتميمها ونشرها
واستكمال سلامتها الا بنشر العلم وتقوية الثقافة
الخاصة والعامية ، وانتشار التعليم والقضاء على
الامية ثم انشاء المعاهد العلمية والجامعات والمجامع
العلمية واللغوية وانشاء الكليات والمدارس الثانوية
والابتدائية وتميم الجمعيات العلمية والادبية
والفنية والمكتبات والاكتار من المطابع والاكتار من
تأليف الكتب في كل علم وفن وبحث ، وان تكون
الفصحى لغة التدريس والتأليف والنشر خاصة لغة
الصحف والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان والخطابة
فيجب ان تكون هي اللغة الفصحى ، واللغة الفصحى
مع كل هذه المقومات اللغوية والثقافية مرجعها الاول
وحافظها الاقوى والامم هو القرآن والحديث ولا
يزيل ضعفها ويوحد لهجاتها ويقوم معوجها الا الادب
العربي السليم في الشعر والنثر والكتابة ، والفناء ،
والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان ، وما يشمل الادب
العربي من تاريخ ومحفوظات ومخطوطات ومطبوعات .
والامية كلما زالت ، او تقاربت كتب التعليم ومناهج
التعليم في جميع درجاته في البلاد العربية وتوحدت ،
وعمت الوحدة الجامع اللغوية والعلمية ، وتطورت
وساعدتها الحكومات وامتدتها المؤسسات الاهلية بما
يلزمها من المساعدات المادية والمنوية لتفاهم العرب
واسرعوها بتقدمهم ورفيهم وتشييد حضارتهم بالقوة
التي كانت لابائهم في فجر انطلاقتهم الاولى وفي
عصورهم الذهبية والمولى يؤيد من ينصره وهو على
كل شيء قدير .

العربية ورجال المهجر كيف ينبغي أن تستفيد العروبة والاسلام من آلاف الاختصاصيين العرب في «مهاجر» أمريكا؟ الاستاذ فؤاد الكشايبة

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس - ايرس

توصلنا من حضرة الاستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس بأمريكا الجنوبية بجواب متأخر من الاستفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وهو يلقي اضواء جديدة على الشكل من جهة خاصة تتصل برجال المهجر العرب في القارة الامريكية ونحن ننشره شاكرين :

ان مصير اللغة العربية في المهاجر يبقى ابدا في قمة المشاغل والاهتمامات التي امانها ويدي مغולה الى منقي. عسى ان يكون في اثار المشكلة ، والتعاون في مجابتهما ما يضمننا واياكم في الطريق العلمية والعملية الصحيحة ، التي يؤلف (استفتاءكم) مرحلة ضرورية من مراحلها الاولى .

وانني اذ اشكر لكم اشراكي في الاستفتاء ، اغتنم الفرصة لادلي ببعض الراي الصريح ، الذي يتجاوز الدراسة الى حيز العمل السريع المنقلد ، في مجابة القضية . راجيا ان يكون شفيح هذا الراي ، شعوركم معنا بأن الذي يمش مع المحنة من كتب ، لا يستطيع ان ينظر اليها بقلبه ولسانه ، دون يده .

عسى ان يكون لكم ولنا بعض بعض اليد الصغيرة، في المرور من مرحلة التفكير الى مرحلة التدبير .

جاء الإسلام والعرب ثقافة ودولة. كانت العربية، في عصر النبي، مهية عبر أطوار متعاقبة من التطور والتكامل، لان تكون لغة الدولة، وحاملة رسالتها الثقافية.

فاذا قلنا ان اللغة العربية تمزجت بالقردان، كان ذلك صحيحا. واذا قلنا ان الإسلام اعتر بالغة العربية، وسال على اسلات اقلامها، كان ذلك صحيحا ايضا. فالوحي اختار منزله الصالح في الارض، والنزل الصالح تسمى حتى استحق استيحاب الوحي.

ان مدى التلازم والترابط بين الإسلام واللغة مدى غير محدود. فاذا نظرنا الى كيف أصبحت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم، وكيف أصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري ساهم فيه مثقفو العصر، على اختلاف امراقهم، أدركنا أهمية الحدث الحضاري، في تلازم الإسلام واللغة معا في تكوينه، دون ما تفاضل او تشاد بين سهم الدين وسهم اللغة في حركة التكوين هذه.

من حيث اللغة، لم يكن في تاريخ العصر، بين لغات الارض، ما هو اكثر تفجرا واشتمالا من اللغة العربية، ضمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضا. فكان لزلما على كل من يريد ان يعلم ويتعلم في هذا المدى الجغرافي الواسع، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم: لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الإسلام حدثا فدا في تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة في تناسق من الاشراق الفكري والنزوع الانساني. وكان الفتح، بخلاف الكثير من الغزوات في العالم، ثورة ثقافية جديدة عنت لها القلوب قبل الرقاب. وبديهي ان تشرق اللغة، في حنى الدولة، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية.

وما يقال في تلازم الإسلام واللغة العربية، يقال في تلازمها غروبا. لكن تلازم الغروب تدل على صفة خاصة، اذ ليس ضعف اللغة هو الذي ادى الى ضعف الإسلام والدولة العربية. بل بالعكس. فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة. وفي

هذا التلازم الغروبي، ما يشير الى أهمية سلطان الدولة، في اقامة كيان الثقافة والحضارة.

على انه بالرغم من أهمية عامل السلطان السياسي، في تكوين الكيان الثقافي الحضاري، فقد ناضل الإسلام، واللغة، منفردين او مجتمعين، طوال حقبة وبدون سلطان الدولة، نضالا جبارا ضد قوى الظلم والظلام. بما لم يتيسر ويتوافر كله، لاي دين واية لغة في نهضات الزمن الاخير.

على انه يجب القول هنا، انه بينما كان الدين عنصر مقاومة، في كثير من الحالات السلبية ضد الضياع والخضوع، كانت اللغة، من جهتها، عنصر هجوم في معائل الظلم والظلام. ومع اطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان يشهد في سماء الشرق ان اللغة العربية هدت طليعة الاشراق العربي الجديد.

وعندما تنادى العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالإسلام، وانحصر قناع الصداه التركي للعصر العربي، بحيث هذا الدين شعارا سياسيا، وليس ايمانا، وليس صدقا وحقا، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد، في دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدائبين على طمس معالمة وجوهه فضائله. وعبر اللغة بدأت حركة تلاقح فكري بين الشرق والغرب، بالترجمة والنقل، من اهم مظاهرها في القرن التاسع عشر، ادب النزعات القومية. ونشأت اجيال عربية جديدة في دور ثقافي وكناه: احياء التراث العربي وتأكيد الوجود القومي المشترك.

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذي نهضت به اللغة العربية، نثرا وشعرا في المواطن العربية نفسها، وفي المهاجر التي نزع اليها النازحون، ان شارك المثقفون، مسلمين ومسيحيين، في احياء التراث العربي وفي الدعوة الى قومية عربية مستمدة من امجاد هذا التراث. ولا يجهل باحث في ادب القرن التاسع عشر وطلائع العشرين، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية في المواطن والمهاجر.

وفي المهاجر بصفة خاصة، وباندفاع نادرة المثال، تغنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

الاربعمائة الف نسمة - بل اكاد اقول - دون النظر الى العدد الضئيل المحدود من المتنورين - ان ليس للثقافة الاسلامية اثر في تكوين شخصية المسلم الهجري . فلا هو يتلقى الفكر الاسلامي عن العربية ولا هو يتابعه عن الاسبانية في اقل تقدير . انه مسلم لانه لا يتنكر لمولده الديني ، ولكنه يفرق في العجمة باستمرار . وان يكن فخورا بانسابه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عامل المقاومة والاستمرار .

بل لنقل المكس في تأثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدعى حسين عباس ، هو في الهوية وفي المجتمع (خوسيه ابيه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد اصبح (ابيه) ، كما اصبح عبد الكريم (امريكو) . وهكذا تريد الدولة ان تعطي رعاياها اسما تنسجم مع اسمائها ، لينصهر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد، الوف المدارس الاجنبية للاكلير وللفرنسيين وللبرتغاليين، كجاليات، بل لليهود مئات المدارس وهشرات للامن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المهاجر الارجنطيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب - في الرباط

انني اذ اتخطى في جوابي عن سؤالكم حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة مأساة ، فلانني اريد ان اهتبل الفرصة لاطاحتكم ليس كمكتب تعريب فحسب بل كجماعة توجه ايضا ، لاسيما وقد تجاوزتم في سؤالكم المحيط العربي الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شائي في هذه المجالة ، ان امضي في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان - وايران وتركيا والصين مثلا - بل انني لاهني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والمسلم العربي ، كما ارى بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعريته ، كما لا يمكن ان تصح هوية اي عربي آخر الا بعريته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد رأينا كيف نهضت

التي تحدرت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمتا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولهواتهم مترادفتين غير منفصلتين في الجوهر . وتسابقت محافل الشعر الى احياء ذكرى المولد النبوي ، في عواصم المهاجر ، ولم يخل ديوان شاعر مسيحي من قصيدة او قصائد تغنى بمجد الرسول على انغام نهج البردة وعلى انغام واوزان سواها . وبهذا تتجلى مبقرية اللغة العربية مصعدة بالعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلياته المطلقة ومعانيه الخالدة .

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى ضعف الاسلام في نفوس المهاجرين المسلمين الذين نرحوا الى المهاجر الامريكية، على انه ضعف في اللغة التي تمارس بها العقيدة . وان تكن ثمة اسباب اجتماعية وجبهة في تفسير تساؤل الوهي الاسلامي ، فيجب الان نسي ان من اخطر بواث الوهن الديني وهن اللغة في ربط ما بين لسان المؤمن وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصفي الى واطف خطيب يتدفق بلافة وبيانا ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسته كما تنتقل الكهرياء ، وراح بعضهم يبكي وينسج . فسالت بعضهم : لماذا تبكون ؟ اتفهمون كل ما قاله الواطف ؟ قالوا اننا نبكي لاننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص عظة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتمشة ببعض المعاني . ولكن الوجوه ظلت جامدة والعيون مطشى لا يطل منها ذلك الاشراق المجيب الذي ينبعث من الاعماق ، حيث تخترق الكلمة الشفاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى المترجم كأنه اقترف ذنبا واحاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسبانية ، وفي ميون الجميع ذلك الوله الذي يعبر من مجز البلوغ وامتناع اللقاء .

وفي الجواب من فقرة من سؤالكم اقول :

ليس للفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن ، اي تأثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنطين ، او في لهجاتها . وعددها يكاد يبلغ

اللغة العربية في بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الدين والدولة معا في قيادة المركب العربي الصاعد . وليس من شك في ان هذه الظاهرة الرائعة حدثت من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين وفتابتهم والحاكمين المسؤولين مثلهم ايضا .

ان رقم المليون عربي مسلما ومسيحيا ، في الاربعينيات يقفز الى اربعة ملايين حتى الخمسة في دول امريكا اللاتينية . وعندنا نمود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، نفكر في مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا نلبث ان نحمد هواقبها من باب لا تكروها شيئا لعله خير لكم . افكر في الزخم الروحي والثقافي الذي اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي في المهجر . وافكر في هذه المعجزة التي تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احيوا امجاد الاندلس في الامريكات . ثم افكر في تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة في افاق اربعة ملايين عربي ، عندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى عاملة في كتل بشرية ضخمة تعد نفسها لمستقبل عالم جديد بينما هي اليوم في واقعا قطع جليدية مبعثرة في المحيط ، آخذة يوما بعد يوم بالدوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان اتحفظ قليلا فاقول : لسوا مجهودات مشكورة اتخذت طابعا جديا في الاموم الاخيرة ، لاهياء الدين الاسلامي في قلوب المسلمين ومقولهم من جهة ، ولولا ما تثيره قضية فلسطين في نفوس هؤلاء القوم العرب او من اصل عربي ، من جهة ثانية ، لكانت الصورة اكثر ظلاما . ولكن هذا وذاك ، لا يتدرج باللغة العربية سبيلا الى احياء الدين او احياء الشموز القومي . وان تدرج قليلا جدا . ويبدو بالاجمال ان هناك غفلة لدى قادة الرأي ، من اهمية اللغة في ربط ما بين العربي ودينه ، وربط ما بين العربي وقوميته .

ومثال ذلك :

انا لا اوافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي في الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة المحيط ووفق لهجاتهم ومصوراتهم المحلية ، كان

يصوروا مريم العذراء - مثلا - بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريبا للصورة من اذهانهم ووجدانهم . والفرق ان الاسلام مفروس في العروبة والعربية ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضا :

في تجاربي الشخصية ودراساتي للادب المهجري في اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين ، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة في الامريكات قد وصلتهم لغتهم وصلا روحيا قويا بقوميتهم وبتراثهم العربي ، الذي في قمته القرآن الكريم . وكانوا اكثر وعيا وتفهما للاسلام ، وامتزاجا به ووفاء لحقه عليهم ، ليس اكثر من العامة العربية فحسب ، بل اكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهيات نفاذ اللغة الى التاريخ والتراث ، ومن وحي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري ، بلغته لا يمكن الا ان يحبه ويفي له .

ومثال ذلك ايضا :

انه قد غدا من الثابت ، في السابق واللاحق ، من دراسة ثقافات الدعاة وسير حياتهم - من اجانب وعرب - ممن دعوا الى التاليف والكتابة بالعامية ، حتى ممن دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب افراض واهواء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، ولقدوا يشار اليهم بانهم يعادون العربية لانهم يريدون ان يحرروا انفسهم من تلازم الدين واللغة والعروبة ، اما لانهم يخشون العروبة ، او لانهم يخشون اللاتينيين معا . وليس من شك بعد في ان الدعوة الى العامية محاولة لتحطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحجة العالمية ، محاولة لتحطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادرة ، غدت خلال قرون طويلة لغة الشعوب في آسيا وافريقيا واوربا . وقد اثبتت العربية بين يديها ولم تهدر هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادبنا العربي الحديث ، قد قصر عن العالمية ليس لانه مكتوب في الحرف العربي بل لان الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد الى العالمية ، وما يرقى منه حتى الان ، موجود في مكاتب العالم مترجما مصفى اليه محتفى به ، ثم لا ينسى شأن الدولة في المرون الى المستويات العالمية .

الاستنتاج بنقاط مختصرة :

- المهاجرون العرب وابناء المهاجرين بحاجة ماسة وعاجلة الى تعلم اللغة العربية والتدرج في فهمها، ابتدائيا واكماليا وثقافيا .

- حتى الآن تراخت الدول العربية ، منفردة او مجتمعة ، عن تقرير خطة مدروسة وتنفيذها .

- اهم ما يجري من حوار حول هذا الشأن قول الدول العربية انه من شأن المفتربين العناية بلفتهم ، لاسيما وان كثيرين منهم اصحاب ثروات وقدرات . وقول المفتربين في الرد على هذا القول ان الدول العربية تهمل المفتربين وتدير لهم ظهورها ، وهي التي يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض الدول الاجنبية في مساعدة جالياتها المهاجرة - وبالفعل تفعل - .

- ان هذا الحوار سمعته منذ عشرين عاما ، ولا يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالحرحى تدور على نفسها وليس ما تطحنه .

- بالحق ان المفتربين اولى بالانفاق على مدارسهم . ولكن الحجر الاساسي لبده العمل يجب ان تضمه الدولة العربية - اقول الدولة واهني جميع الدول -

- فالقضية ليست قضية من ينفق . بل هي الآن واليوم قضية من يبدأ . والدولة هي التي تبدأ، والاهلون سيتولون الانفاق يقينا . ولكن بعد مرور مرحلة الحجر الاساسي .

- ان القيادات الفكرية في واقع الجاليات الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون مفتقدة والدولة العربية في المرحلة الاولى ، يجب ان تتولى قيادة الرأي . وانا على يقين انها ما ان تضع النار في الشعلة حتى يتكامل الاشتعال بناموس حركة الشرارة .

- ان المدرسين يجب ان ياتوا من البلاد العربية وممهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض العون المادي لبده التأسيس . اما اشادة البناء المدرسي فيمكن ببسر ان يتم من قبل الجاليات .

من المفيد ان تعلم الدول العربية بان حكومة الارجنتين - مثلا - تشجع تشيير المدارس النظامية التي تدرس لغة البلاد وايه لغة اخرى ، ما دام البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان تبلغ السبعين بالمئة من ثمن الارض والبناء . فما قول الاخوان في هذا ؟

- اقول يجب ان ياتي المدرسون من البلاد العربية حاملين علما واخلاقا وشمورا بالمسؤولية الكبرى . ليس لان المدرسين مجرد مساعدة (انفاقية) بل لانهم يتولون رسالة ويقومون بدعوة . وهنا اهمية الفكرة .

- بدأت الجامعة العربية بتأسيس صندوق الدعوة العربية . وليس اهم ولا اجل من ان تبدأ الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الانفاق على (اللغة) جزءا كبيرا من الانفاق على (الدعوة) : الدعوة للغة، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة لفلسطين . وكيف تنفصل الدعوة لفلسطين عن الدعوة لها في الجاليات العربية التي هي في المقام الاول سلاح الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟ .

- وفي رأيي الاخير ان صندوق الدعوة العربية باشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتصاعد بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان يعلن بان تعليم ابناء المفتربين جزء من الدعوة ، وموارده ونفقاته جزء من موارد صندوق الدعوة ونفقاته .

قد يعترض معترض ويقول : ان الامية تسود ارجاء الوطن العربي بنسب تتراوح بين خمسين بالمئة وسبعين بالمئة . واولى بالدولة العربية ان تعنى بامبيها قبل ان تعنى بمهاجريها والاعتراض مرفوض لاسباب ، اهمها :

اولا - ان المواطن العربي يريه وطنه ويوجهه ويواصله روحيا باخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف عليه من الفضياع . اما المهاجر العربي فهو (يتيم العرب) والمهاجرون يتامى لا صلة لهم بأرضهم ووطنهم فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات امريكا اللاتينية ، تفتش عن جذور لها في الامحاق ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي برغم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوربية بدافع السياسة احيانا ، والتقليد للغرب احيانا اخرى ، لا تجهل انها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة عشر بالمائة من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللانديس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد ثمانمائة سنة ، وظلت تمتد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد هروبها السياسي . ففي الارجننتين والبرازيل - مثلا - يرمز الى رجل (الفاوتشو) - رجل الصحراء - على انه نموذج الامالة الوطنية، وعلى انه الدفقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقا هراقة الاصول الاولى التي انفرست في الارض قبل ان تغد اليها وفود المهاجرين من اوربا . وفي الارجننتين اليوم تيار ثقافي قسوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عريقة ، هي اخلاقية الرجل (الفاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل السرورة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في رأي بعض الوطنيين الارجننتينيين من هذه المدرسة تزوير لشخصية الارجننتين الثقافية والاخلاقية - ولهذا الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الدين استوطنوا هذه المهاجر بمالدين ، ولا اوطانهم العربية بحاجة حقا الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكية كلها يمكن ان تنتجهم الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

ثانيا - اذا كان المواطن المقيم جزءا من بناء الوطن الداخلي، فالمواطن المغترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معا . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المغترب اجدى فعالية من المقيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا فان المغتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثا - ان النهضة في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهمل بعضها لحساب البعض الاخر، كان يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المرأة ، او للمواطن دون المغترب . هذا اذا وضعنا بديهية اننا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل ولهذه الحضارة . واللغة تراثنا الحضاري الخالد .

قد يعترض معترض آخر ويقول : قضي الامر واندمجت الجاليات العربية في محيطاتها وابتلعتها اوطانها الجديدة التي تنتسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولا - لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسبت واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتش عن مزيد من عدد الرعايا ، التي لا يضير اوطانها ان تعمل في جنباتها روحانية الثقافة العربية العريقة ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجننتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الفريب . وينصرف الى ترجمة الآثار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كليلة ودمنة) و (عمر الخيام) ومجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعمية وشفيق المفلوف . وقضى خمسة عشر عاما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثمائة الف كلمة ، مشيرا الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الفريب في سن السبعين ويعتبر نموذجا للرجل العربي المغترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته وتراثه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بونوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تأليف كتاب عن الجذور العربية لرجل (الفاوتشو). ومساهمة هؤلاء الصحراويين الارجننتينيين في معركة استقلال الارجننتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

لا يمكن ان تؤلف هجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد في التاريخ الحديث . لقد كانت الهجرة رمية اقداره . ومن ذكاء السياسة احيانا ان يتحالف الانسان مع اقداره . عندما يكون هذا التحالف فاصلا ايجابيا مخصبا .

ثانيا - من عجيب امر هذه الهجرة ، ان الابناء والاحفاد ، الذين هم ارجنتينيون بالمولد لا بالتجنس ، يستفيق جمع منهم على (شرف الانتساب) ، فاذا بهم اكثر احساسا بقضية الوطن الذي تعدر آباؤهم واجدادهم منه . ولهذه اليقظة الروحية اسباب ، اهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من مركب النقص والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى النقيض كان آباؤهم واجدادهم فقراء اميين مصابين بدكرياتهم المريرة ، يشعرون بالاضطهاد، سواء في تذكّر المواطن التي هجروها ، ام في المواطن التي لجأوا اليها . فهم ليسوا سوى طالبي امان ورزق ، ونسيان ايضا . ولكن يجب الانسى مع ذلك ، ان الدفقة المهاجرة الثقافية في اواخر التاسع عشر واولل العشرين ، مما المعنا اليه ، قد صدرت من هؤلاء المترحلين الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (علمتهم غربتهم الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، في المهاجر ، ودرسوا التاريخ ، واعطوا الادب العربي حياة جديدة .

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود الينايع في الارض العميقة .

قد يكون ارتداد بعضهم الى الينايع نموذجاً امريكيًا لاينيًا شائماً في التفتيش من اصالة ، من هراقة ، من جدور عميقة . ولكن من المؤكد ان الارتداد الى منابع النسب العربي ، عن طريق الدين ، او عن طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعورا عميقاً ، غير مزيف بشهوة التفتيش عن (مظاهر) الاصالة وحدها .

حتى الارجنطيني نفسه من مدرسة (الفاوتشو) يتجاوز في نظره الى المنابع ، موضوع الدراسة التاريخية ، والبحث العلمي ، ويعتبر وجود (الفاوتشو) في الاصول مسألة ثقافية اخلاقية .

ثالثا - يقال ان الجاليات العربية تفسخت في المرحلة الرمنية الاخيرة ، سياسيا وقوميا ودينيا ، وغدت مجموعة من المتناقضات والاتجاهات .

وهذا صحيح . بقي ان نعرف بالتفصيل وجه هذه الصحة . ان امراضهم ليست من صنمهم بل من صنع اوطانهم . والتفسخ هو بضامة مصدرة من المواطن الى المهاجر ثم ان هذا العالم قد تقلصت ابعاده وغدت تجري اخباره بسرعة البرق . وهؤلاء العرب يعيشون في هذا العالم وليس في الكهوف المحجوبة عن اجنحة الطيران والسنة البرق . وكثيرا ما نمجز في الاجابة عن تساؤلاتهم وحيراتهم وشكوكهم . ثم كثيرا ما نطلب اليهم ان يديروا ظهورهم لمشاكل اوطانهم . ويكون الابدون قدوة للاقربين . ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موعظة حسنة) .

ومع ذلك فكثيرا ما جردوا قضية اوطانهم تجريدا ورفعوها الى مستويات العقائد والكتليات وتجاوبوا مع ثورات اوطانهم في الاحزان والافراح ، والهزائم والانتصارات . وقامو وتمدوا على آمال مشرقة وخيبات مريرة .

ومع ذلك فقد منحوا بلادهم مدرسة ادبية فريدة وفجروا في المهاجر وفي المواطن مشاعر قومية اصيلة ، اقوالا واصملا ، خلال خمسين سنة من اوائل هذا القرن . وارسلوا الى اهلهم مليارات من الاموال كانت بالواقع جزءا لا يتجزأ من الدخل القومي العام الذي ساهم في رفع مستوى المعيشة في قرى ومدن كثيرة كبيرة وصغيرة . ولم يكن شعر المهجر وحده الذي يبلغ الاوطان ويشير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقرأها تحت ضوء قناديل الزيت والكاكاز في القرون النائية وازقة المدن الخلفية ، الوف المواطنين المتواصلين مع اهلهم برسائل الاشواق والاحزان .

لقد منحوا كثيرا ولم نمنحهم شيئا . لم ينسوا اصولهم الى الحد الذي يزعجه المتعمبون ، بل نحن في المواطن قد نسيناهم . وعندما يخطر لنا ان نفكر بهم ، في شأن انشاء مدرسة عربية ، لا نزال منذ ربيع قرن نساءل كأننا اذكياء : من يبدأ؟ هم ام نحن ؟ .. من يدفع ... هم ام نحن ؟

مقررة على مراحل ، تشترك في تمويلها الدول
والجماهير معا ، في المواطن والمهاجر ؟

ابها الاخوة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب

ارجو مملرتي اذا استطردت من الجواب عن
اسئلة استفناكم الى الخوض في تفاصيل الوضع
الاجتماعي والثقافي العربي في المهاجر. وفي رأيي ان
هذا التفصيل ملازم لجوهر القضية ، لاننا اذا طمعنا
الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن
العربي ، وجب علينا ان نعريف ما هي الشروط
الاجتماعية والثقافية الكائنة والتي يجب ان تكون ،
لتصبح مظامحنا اكثر من امنيات وابساد من مجرد
(دراسات) .

احبيكم واشكركم واضع نفسي ، ما دمت في
هذا المهجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم في
كل ما يخدم الاهداف السامية التي تعملون في
سبيلها .

يستوي في اعمال المغتربين جميع المواطنين
العربية بالاضافة الى المواطنين الاساسيين : سوريا
ولبنان . والا فكيف نريدهم ، للغة والتراث وللسطين،
وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ايضا
لنشرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب
تبعات مما ؟

لماذا - مثلا - لا يشترك كويتي في مساعدة
مدرسة وسعودي في ترميم كنيسة ، وليبي في انشاء
جامع ؟ لماذا لا يدمى كاتب سوري الى المغرب او طبيب
لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا نستفيد من خبراتهم ونحن
نركض وراء الاجانب من اصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا
نقيم لهم حلقات دراسية وبعثات جامعية .. وجولات
سياحية؟ والنخ الخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتخصيص جزء من
دخل صندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية
ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة علمية



تحديات وجه اللغة العربية التبشير واللفظة العربية

الأستاذ أنور الجندب

(القاهرة)

واجهت اللغة العربية منذ أوائل العصر الحديث تحديات خطيرة جائرة من خلال النفوذ الاستعماري الذي سيطر على العالم العربي ، ورأى في اللغة العربية عاملا من العوامل الخطيرة التي تعارض تثبيت قواعده . ومن هنا فقد عمد النفوذ الاستعماري الى عملين خطيرين :

اولهما : تجريد اللغة العربية عن التوسع في العالم الاسلامي

ثانيهما : توسيع نطاق اللغات الاجنبية وتشجيع اللهجات المحلية

وقد كان لمخطط التبشير الذي نفذه الاستعمار في العالم العربي اثره الواضح

في هذا المجال

الدعاة الى العامية ومدير دار الكتب بالقاهرة يختار ان يمشي في حي وطني « لكي يستقي العامية من منابعها الاصلية ولا يدون الا ما يسمعه ، ثم يدون ما يسمعه باذنه على كم قميصه خوفا من ان يلاحظه احد المتكلمين فيفقد طبيعته وحرية في الكلام »

وقد شغل عدد من هؤلاء الاجانب بأمر « العامية » المصرية واهتموا بها والفوا عنها وفي مقدمتهم ولهم سبتيا ، وكارل فولرس ، وسلدن ولعمور ، ووليم ويلكوكس . وقد بدأ ذلك منذ 1880 واستمر حتى عام 1926 تقريبا .

وفي خلال ذلك كان لطفسي السيد وقاسم امين وسلامة موسى قد حملوا لواء هذه الدعوة ثم اتصل ذلك بالدعوة التي دعاها عبد العزيز لهي عام 1941 عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية هذا في مصر وفي المغرب تولى كولان ومن بعده ماسينون لواء هذه الدعوة وفي لبنان ظهر كثير من الدعاة الى الحروف

فقد وجه التبشير الى اللغة العربية حملة ضخمة قوامها حقيقة اساسية هي ان القضاء على القرآن مصدر الاسلام وقانونه الاسلامي يتطلب القضاء على اللغة العربية الفصحى ولما كان التبشير والنفوذ الاستعماري لا يستطيع ان يكشف هذه الحقيقة صراحة فانه اخفاها وراء كل خطوة اتخذها بشأن الدعوة الى العامية او مهاجمة اللغة العربية وانتقاصها او الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وتكشف جميع النصوص التي بين ايدينا على ان هذا الفرض الدالين واضح في عقل كل من يتصدى لهذا الفرض ، ويبدو خطر الدعوة الى تحطيم اللغة العربية واضحا حينما نرى ان عددا كبيرا من البشرين والمستشرقين قد تصدوا للكتابة في هذا الموضوع واقاموا من انفسهم خداما لهذه الغاية لا يرون بأسا في التخفي وتغيير شخصياتهم في سبيل تحقيق ما يريدون ، حتى ان « ولهم سبتيا » اول